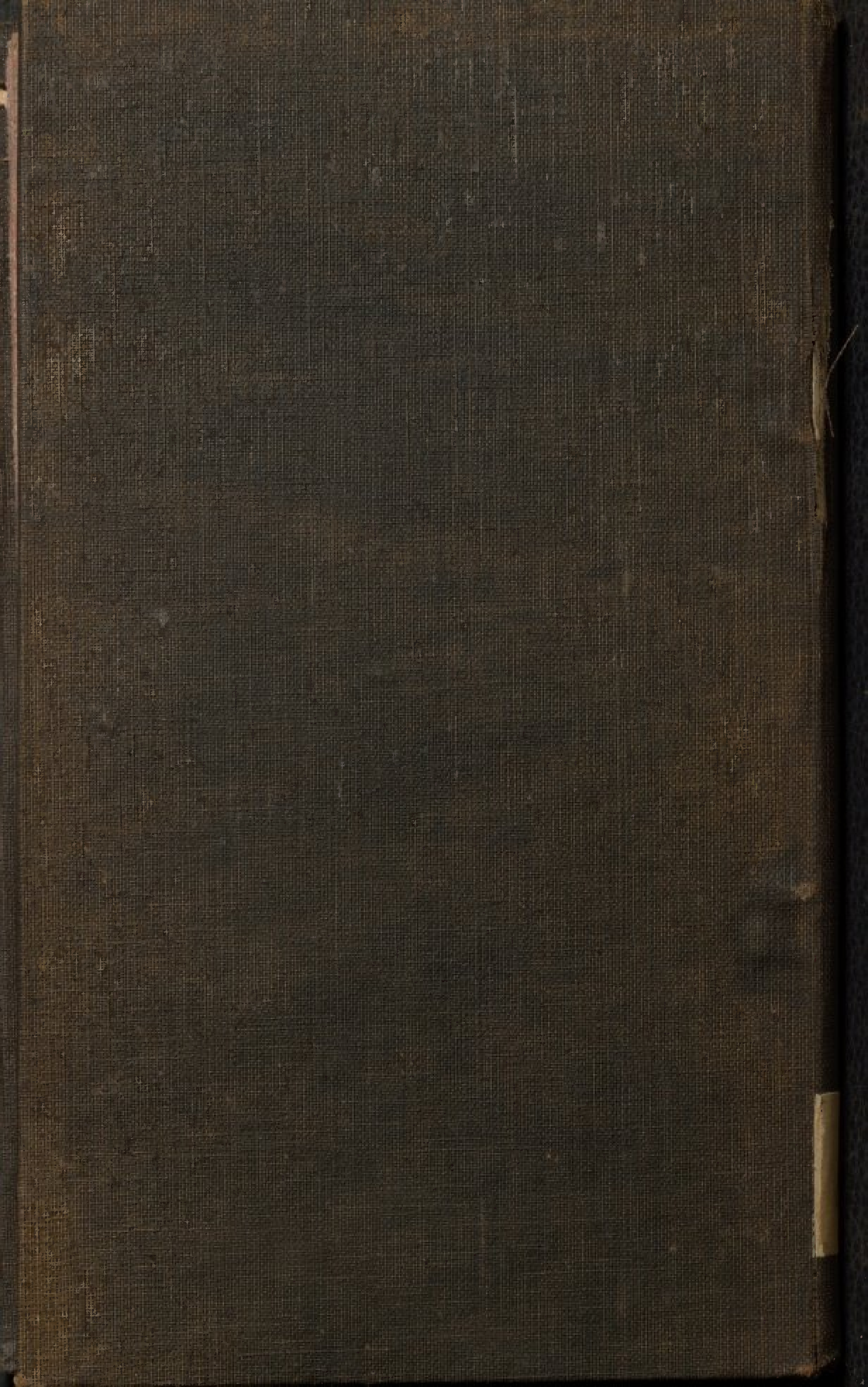
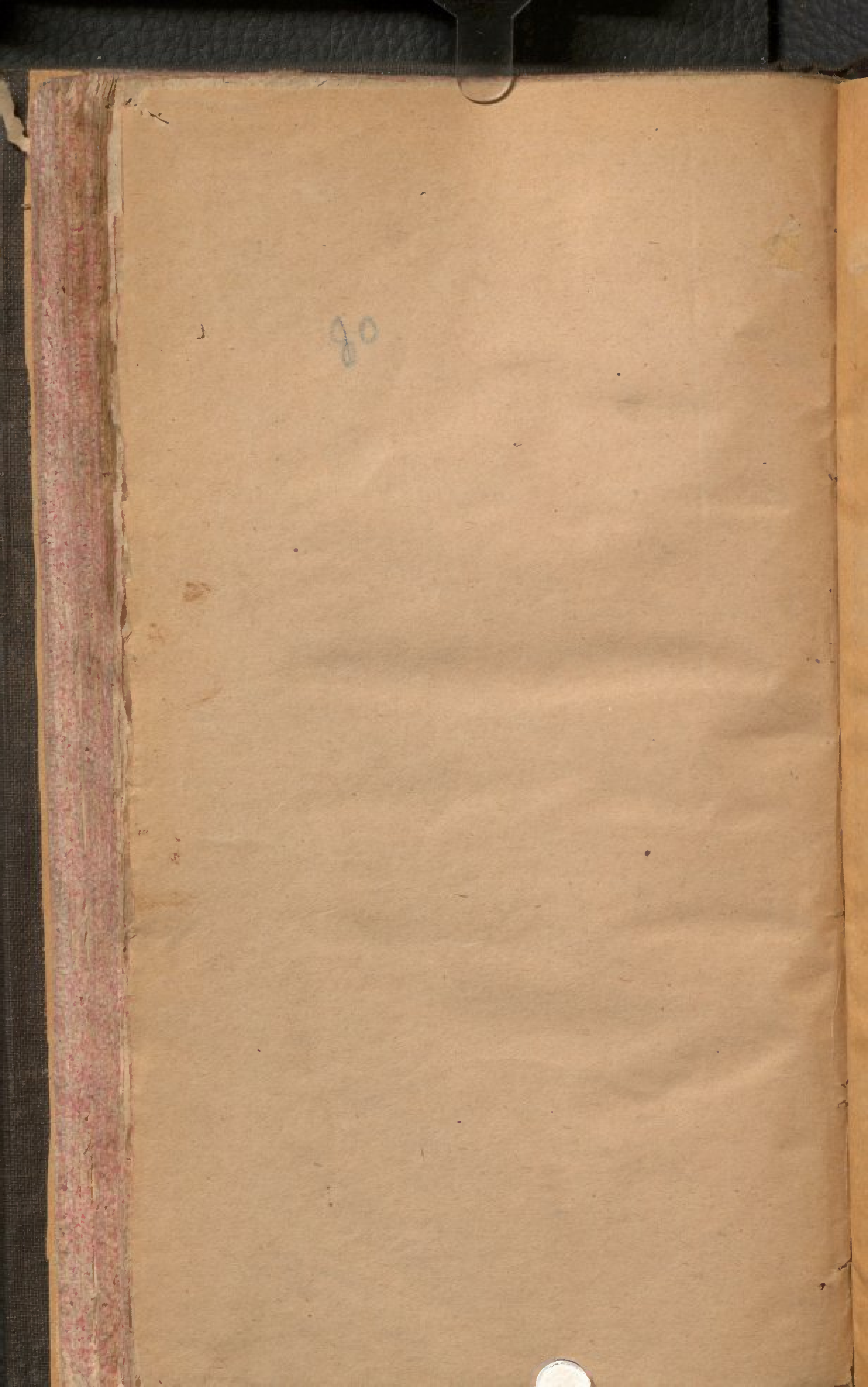
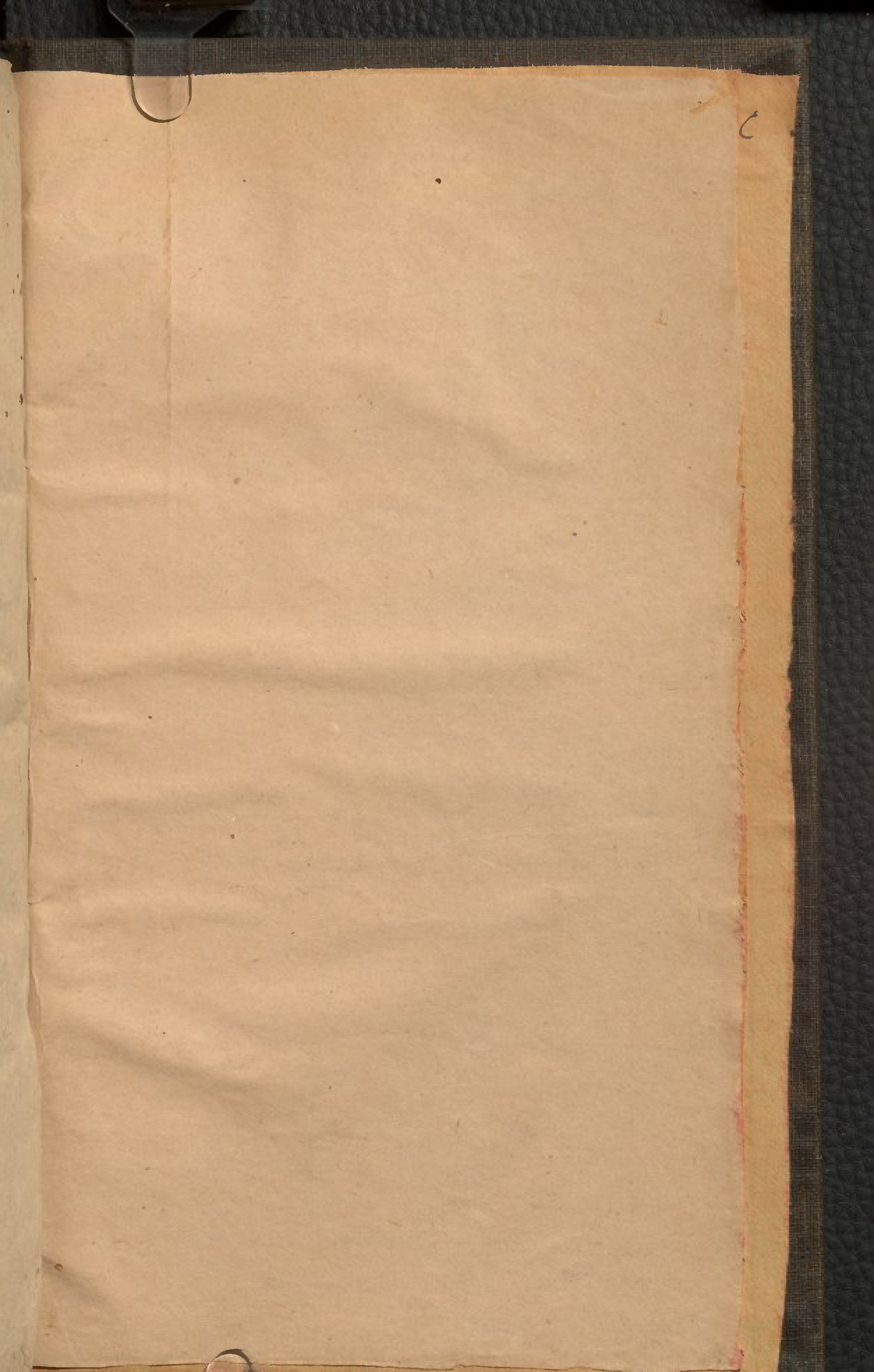


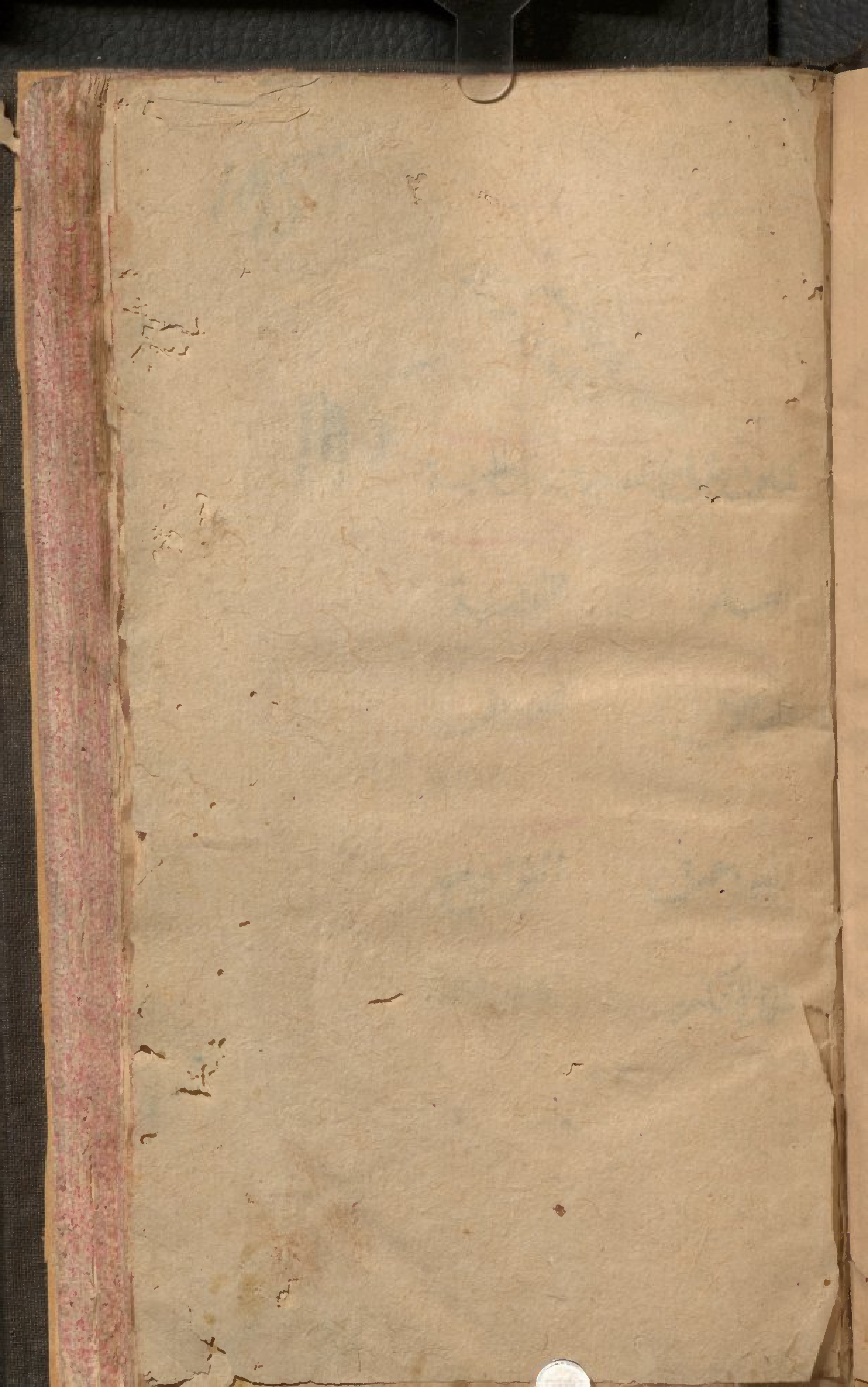
Minhāju'l-ʿābidīn.

(religious ethics).











195

١١٤٥

تصنيف الامام حجة الاسلام ابي حامد محمد الغزالي

195

بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير

الحمد لله حق حمده والصلواة على خير خلقه محمد النبي وعلى آله اجمعين قال الشيخ الزاهد عبد الملك بن عبد الله املى علينا شيخنا الشيخ السعيد الموفق حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى هذه المختصر وهو اخر كتاب صنفه ولم يطلع منه الا خواص اصحابه واوله

سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم
الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور في الدارين
بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته والطريق واضح للقاصدين
والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلواة على محمد سيد
المرسلين وعلى اله الابرار الطيبين الطاهرين اجمعين وسلم
وعظم الى يوم الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله واياي
بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد
وبضاعة الاولياء وطريق الاقوياء وقسم الاعزة ومقصد
ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار اولي
الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى
وانا ربكم فاعبدون وقال الله تعالى ان هذا كان لكم
جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا
طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني سالكيها

الاصفياء

هو الغني

فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديد
المشقات بعيدة المسافات عظيمة الافات كثيرة العوائق
و الموانع خفية المهالك والمقاطع عزيزة الاعداء
والقطاع عزيزة الاشياع و الاتباع و هكذا يجب ان
تكون لانها طريق الجنة فيصير تصديقا لما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات.
وقال عليه السلام الا وان الجنة حزن بربوة الا وان
النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف
والزمان صعب وامر الدنيا متراجع والفراغ قليل
والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد
بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد
فلابد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد
فاز وسعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر
مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب
لذا والدار معضلا والخطر خطيرا ولذلك عز

من الطالبين

فامعنا ١٢
اي الامعان

من يقصد هذا الطريق وقد عزّ من القاصدين من يسلكه ثم عزّ
من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين
اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه
وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله الكريم
الكريم جل ذكره ان يجعلكم ايانا من اولئك الفائزين برحمته
ثم ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنّا النظر
في كيفية قطعه وما يحتاج اليه العبد من العدة والعدة
والآلة والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن التوفيق
الله في سلامة ولا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين
والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذا الطريق وسلوكها كتبا كاحياء
العلوم الدين والقربة الى الله وغير ذلك اودعناها فيها من دقائق
من العلوم اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا
فيما لم يحسنوه فاي كلام افصح من كلام رب العالمين
وقد قالوا اساطير الاولين الم تسمع الى قول زين العابدين
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم اجمعين
اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق

ان يجعلكم

اليها

ذو جهل فيفتننا ؛ وقد تقدم في هذا ابو الحسن ؛ الى

الحسين ووصى قبله الحسنا ؛ يا رب جوهر علم لو ابوح به ؛

لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ؛ ولاستحل رجال

جاهلون دمي ؛ يرون اقبح ما يأتونه حسنا ؛

فاقتضت الحال عندئذ والرأي النظر الى كافة خلق الله تعالى بعين الرحمة

وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني

لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني

الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار ذلك

والهمني ترتيبا عجيبا لم اذكره في مصنفات التي تقدمت في اسرار

معاملات الدين وهو الذي انا واصفه فاقول بالله التوفيق انه اول

ما تنبه العبد للعبادة وتجرد لسلوك طريقها بخطرة سماوية

من الله تعالى وتوفيق خاص الهي وهو المعني بقوله سبحانه وتعالى

افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من

ربه واشار اليه صاحب الشرع عليه السلام فقال ان

النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله

رجال

بتبصير

اطلعني

فقيل لرسول

فمن علامة يعرف فقال التجافي عن
دار الغرور والانابة الى دار الخلود والا
والاستعداد للموت قبل نزول الموت فاذا
خطر بقلب العبد اولا كاني اجد منعما بضروب من
النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وساير المعاني
الشريفة واللذات وما يصرف عني من ضروب المضار والآفات
وان لهذا منعما يطالبني بشكره وخدمته فان غفلت
ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني باسه ونقمته وقد بعث
الي رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة
عن مقدور البشر واخبر ان لي ربا جل ذكره قادرا عالما
حيا متكلما آمرا وناهيا قادرا على ان يعاقب ان عصيته
ويثيبني ان اطعته عالما باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد
واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه
ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل باول البديهة فيتخوف
على نفسه عنده فيفزع فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزم

لجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه الى النظر والاستدلال فيهتاج
العبد عند ذلك ويقلق وينظر في طريق الخلاص بسبب الخلاص
وحصول الامان له مما وقع في قلبه او سمع فلم يجد في سبيل
الخلاص سوى النظر بعقله في الدلايل والاستدلال بالصنعة
على الصانع ليحصل له العلم واليقين بما هو الغيب ويعلم ان له
ربا كلفه وامره ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في طريق
العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من امره على بصيرة
فياخذ في قطعها بحسن النظر في الدلايل ووفور التامل
والتعلم والسوال من علماء الاخرة ادلاء الطريق سرج الامم
وقادة الايمة والاستفادة منهم والاستمداد بالدعاء الصالح
منهم للتوفيق والاعانة على ان يقطعها بتوفيق الله سبحانه فيحصل
له العلم واليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا لا شريك له هو
الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه شكره
وامر بخدمته وطاعته ظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب
المعاصي وحكم له بالثواب الخلد ان اطاعه وبالعقاب الخالدان

الخالدان

عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة والتيقظ بالغيب على
التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي
طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف
يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فبعد
هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى وما يلزمه من الفرائض الشرعية
ظاهرا وباطنا واستكمال العلم والمعرفة بالفرائض نهض
ليأخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات
وذنوب هذه حال الاكثر من الناس فيقول كيف أقبل على العبادة
وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي
ذنوبي ويخلصني من اسرها واتطهر عن اقذارها فاصلح للخدمة
ولبساط القربة فتستقبله منها عقبة فيحتاج لا محالة الى قطعها
ليصل الى ما هو المقصود منها فاخذ في ذلك باقامة التوبة بحقوقها
وشرائطها الى قطعها فلما ان حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من
هذه العقبة حن الى العبادة ليأخذ فيها فاذا حوله عوائق محدقة
به كل واحدة منها تعوقه عما قصد له من العبادة بضرب من التعويق

فاذاً اربعٌ الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع
هذه العوايق وازاحتها عنه والا فلا يتاتى له امر من العبادة فها هنا استقبلته
عقبة العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا
والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان واما النفس فاشد ما
اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها كالشيطان اذ هي
المطية والالة ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصد العبد
من العبادة والاقبال عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى
واتباعها له فاحتاج اذن الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع
وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها من
المهالك والمفاسد فياخذ الان في قطع هذه العقبة ويستعين بالله
جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض
تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده
عن التفرغ لذلك كما ينبغي فتامل فاذا هي اربعة الاول الرزق
تطالبه النفس به وتقول لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت
عن الدنيا وتفردت عن الخلق فمن اين يكون قوامي

ل

ورزقي والثاني اما خطار من شيء يخافه او يرجوه

او يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه من ذلك او فساده فالامر

بالامور مبهمة يشتغل قلبه فانه ربما يقع في فساد ومهلكة

والثالث الشدايد والمصايب تنصب

عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب

لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة

النفس فكم غصة يتجرعها وكم شدة يستقبله وكم

هم وحزن يعترضه وكم مصيبة يتلقاه الرابع

انواع القضاء من الله سبحانه بالحلو والمر

ترد عليه حالا فحالا فالنفس تسارع الى السخط

وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض

الاربع فاحتاج الى قطعها باربعة التوكل

على الله في موضع الرزق والتفويض الى الله عز

وجل في موضع الخطر والصبر عند نزول القضاء

فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى

الشدايد والرضا عند نزول ١٢

لله

وحسن ما بيده فلما فرغ من قطعها وعاد الى قصد العبادة فنظر فاذا
النفس فاترة كسلى ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي وانما
ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى
الشر وفضول وبطر وجهالة فاحتاج معها ههنا
الى سابق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له وزاجر
يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الرجاء والخوف
فالرجاء في عظيم ثواب الله سبحانه وحسن ما وعد من انواع
الكرامة ويذكر ذلك سائق يسوقه فيبعثها على الطاعة ويحركها
لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله تعالى وصعوبة ما اوعد من
انواع الكرامة ويذكر ذلك سائق يسوقه العقوبة والاهانة
زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويفترها عن ذلك فهذه
عقبة البواعث استقبلته ههنا فاحتاج الى قطعها
بهذين المذكورين واخذ فيهما بحسن توفيق الله عز وجل
فقطعه فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير
عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنظر

ولا تنشط

يفتر

في العبادة

فيه العبادة فاقام بها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فاذا
فنظر فاذا ابتدأ وهذه العبادة التي احتمل فيها كل
ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يراعي
الناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلوم نفسه فيعجب
بنفسه فيحبط العبادة عليه ويبطلها فاستقبلته منها عقبة
القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة من الله تعالى
ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة
باذن الله تعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الباري تعالى وتأييده
فلما فرغ من هذه العقبات كلها حصلت له العبادة كما يحق وينبغي
وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور منن
الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم الله تعالى عليه من امداد التوفيق
والعصمة وانواع التأييد والكرامات وخاف ان يكون
منه اغفال الشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك
المرتبة التي هي الخدمة الخالصة لله عز وجل ويزول عنه
تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى وحسن نظره

الطاف

عظيمتان

امداد

اليه فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها
بالاخلاص في ذكر المنة من الله تعالى ونحوها ليسلم له
ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى
بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار تعالى
وتأييد فلما فرغ من هذه العقبات كلها حصلت
له العبادة كما يجب وينبغي وسلمت من كل افة ولكنه
نظر فاذا هو غريق في بحور منن الله تعالى واياديه
من كثرة ما انعم الله تعالى عليه من امداد التوفيق و
العصمة وانواع التأييد والحراسة وخاف ان يكون
منه اغفال الشكر فيقع في الكفران فينحط من تلك الرتبة
التي هي مرتبة الخدم الخالصين لله عز وجل ويزول
عنه تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى
وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد
والشكر فاخذ فيها فقطعها بما امكنه من كثرة الحمد
والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من هذه العقبة نزل

فاذا ١٠

فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يبرا الا قليلا حتى وقع
في فسيح سهول الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم
يقع في رياض الرضوان وبساتين الانس الي بساط الانبساط
ومرتبة التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات
فهو يتنعم في هذه الحالات ويتقلب في طيبها ايام بقاياه وبقيته
فجسده يتخلص في الدنيا وقلبه في العقبى منتظر البريد يوما فيوما
حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا فحنّ الى الموت واستكمله
الشوق الى الملك الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين
اليه يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان
من عند رب راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس
وتمام الشوق والانس من هذه الدار الفانية
المفنية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض
الجنة فطوبى لنفسه الضعيفة المفضل
الكريم جل ذكره من اللطف والعطف والترحيب
والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف

الاملال
ملول کردانندن
الاستقذار
بلید کردانیدن مشغر

وهم ابدا بنعمه عليهم مبتهجين انه جواد كريم رحيم

الواصفين كل يوم في زيادة ابدا ابد الابدين فبالها
من سعادة عظيمة وبالها من دولة عالية وبالها
من جد مسعود وامر مغبوط وشان محمود
ثم ان الله العظيم البار الرحيم سبحانه
ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة و
ما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من
الذين لا نصيب لهم من هذا الامر الا وصف
او سماع او تمن بلا اكتفاء وان لا يجعل ما علمنا
من العلم حجة علينا يوم القيمة وان يوفقنا
جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب
ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
فهذا هو الكتاب الذي انتخبته مولدي في
طريق العبادة فاعلم الآن ان الحاجب
من الجنة سبع عقبات الاولى عقبة العلم
الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق

الرابع

الرابعة عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة
القوادح السابعة عقبة الحمد والشكر وبها تم كتاب منهاج العابدين
الى الجنة ونحن الآن نتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ الشامل
على النكت المفهومة من هذه الشان في باب مفرد انشاء الله تعالى
ولى التوفيق والتسديد ولا حول ولا قوة الا بالله الباب الاول
في العقبة الاولى وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة
عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم
والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين
وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت
الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما
من الخلق فتأمل آيتين من كتاب الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية
دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد والاية الثانية قوله عز وجل
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون كفى بهذه الاية دليلا
على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما

هو الغني

المقصود من خلق الدارين نحن للعبد ان لا يشتغل
الا بهما ولا ينبعث الا لهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم
ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له
فاذا علمت ذالك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين
وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل
العالم على العابد كفضلي على امتي وقال النبي عليه السلام
نظرة الى العالم احب الى الله من عبادة ستين سنة
صياماً وقياماً وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم
على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال
هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهر من العبادة
ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه
هباءً منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة
ثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة اذ هي الاصل
لكن الانتفاع بثمرها فاذن لا بد للعبد ان يكون له
من كلا الامرين حظ ونصيب ولهذا قال
الحسن البصري رحمة الله عليه اطلبوا هذا العلم طلبا

لا تغتروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تغتروا بالعلم ولما استقر انه
لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه
الاصل والدليل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم
امام العمل والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا ولذلك
تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم
فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف
تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب له
وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله
مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا او
قد ترى خفاء ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء
انتهى تمته من كتاب الخوف من جملة كتب احياء العلوم
الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك تعلمه من الواجبات
الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه
من المناهي لتترك ذلك كيف تقوم بطاعة لا تعرف
ما هي وكيف يجب ان تفعل وكيف تجتنب
من معصية لا تعلم انها معصية لئلا توقع نفسك فيها فالعبادات
الشرعية كالطهارة والصلاة وغيرها يجب ان تعلمها

باحكامها وشرائطها حتى تقيمها فيما انت معتم عليك سنين
وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك او نحو حجها
من كونها واقعة على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك
وربما يعرض لك لا تجد من تسأله عن ذلك ولا تعلمه بعد ان يهدا
ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان
تعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة
والاخلاص وغير ذلك مما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى ويجب
ايضا ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور
كالسخط والامل والحسد والرياء والكبر والعجب لتجتنب ذلك
فان هذه فرائض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن
اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه عليه السلام كما قال
الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين واشكروا الله
ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما صبرك
الا بالله وقال وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص
اخلاصا ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر بالصلوة
والصوم فما لك اقبلت على الصوم والصلوة والزكوة

وتركت

10

وتركت هذه الفرائض والامر بها من رب واحد كما
بل غفلت عنها بالكلية فلا تعرف شيئاً منها التغوى
من اصح بغاجل حظ مشغوفاً حتى صيرت المعروف
منكراً والمنكر معروفاً ومن اهمل العلوم سماها الله تعالى
في كتابه نوراً وحكمة وهدى واقبل على ما به يكتسب الحرام
ويكون مفيدة للحطام اما تخاف ايها المسترشد ان
تكون مضيعاً لشيء من هذه الواجبات لاكثرها
وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون نفد
لا شيء وربما انت تكون مصراً على معصية من هذه
المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحاً من طعام
وشراب ونحوه تبتغي به التوبة الى الله تعالى فتكون
في لا شيء واشد من ذلك كله انك تكون في امر الاصل والاجل
معصية محضة فتظنه ان فيه خير لجهلك بالفرق
بينهما او تقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون
في خرج وسخط فتظنه فرجاً وابتهالاً الى الله تعالى

فيكون رياء محضاً وتحسب حمد الله سبحانه المعاصي
او دعوة الناس الى الخير فتأخذ تعوداً على الله سبحانه
المعاصي بالطاعات وتحسب الثواب العظيم
في موضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة
قبيحة وهذه والله مصيبة قطيعة للعاملين علم
ثم مع ذلك ان الاعمال الظاهرة علائق
من المساعي الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص
والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم
هذه المساعي الباطنة ووجه تأثيرها في العبادات
الظاهرة فكيف الاحتراز منها وحفظ العمل
عنها فقل ما يسلم له عمله الظاهر ايضاً فتفوته
طاعات الظاهر والباطن فلا يبقى بيده الا
التعب والكد وهذا هو الخسران المبين و
لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نوماً على علم خير من صلوة على جهل فان العامل
بغير علم ما يفسده اكثر مما يصلح قال النبي عليه السلام

وتبعيت

في العلم

في العلم انه يلهم السعداء ويحرم الاشقياء فالمراد
والعلم عند الله تعالى ان احري شي بتوقيه ان لا
يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب بالعبادة علي حظ
فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ بالله تعالى من علم
وعملا لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين
رضي الله تعالى عنهم اجمعين بالعلم خاصة من بين اشياء الناس
فان مدار امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين
على العلم وهكذا يكون نظر اولي الابصار واهل التأييد
والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل
للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فيلزم اذن تقديمه في شان العبادة
واما الخصلة الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع
يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم
يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم
يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله تعالى
وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى.

فعليك بالعلم ارشدك الله تعالى يا سالك طريق الآخرة اول
كل شيء والله ولي التوفيق لعلك تقول قد ورد الخبر عنه صلى الله
عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض
لازم واما الحد الذي لابد للعبد من تحصيله في امر العبادة
فاعلم ان العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلثة علم التوحيد وعلم
السر اعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة واما حد
ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد
مقدار ما تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها عالما
قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له
متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدث
متفردا بالقدم على كل محدث وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده
ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه وفيما ورد على لسانه
من امور الآخرة ثم مسايل في شعار السنة يجب معرفتها واياك
ان تبتدع في دين الله تعالى ما لم يات به كتاب ولا اثر فتكون
مع الله سبحانه على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد موجود اصلها
في كتاب الله سبحانه وقد ذكرها شيوخنا رحمهم الله تعالى في كتبهم
التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا

تأمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه
فحصّل هذه وبالله التوفيق والقوة وأما الذي يتعيّن
فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى
والإخلاص والنية وسلامة العمل وعامة ذلك يأتي في كتابنا
هذا إن شاء الله تعالى وأما ما يتعين من علم الشرائع فكل
ما يتعين عليك فرض فعند وجوب عليك معرفته لتؤديه
كالطهارة والصلوة والصيام وأما الحج والجهاد والزكوة
إن تعيّن عليك وجب عليك علمه لتؤديها وإلا فلا فهذا
حدّ ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه
بيّنت لك من ذلك فإن قلت فهل يتعين عليّ أن
أتعلم علم التوحيد ما أنقض به جميع ملل أهل الكفر وأزيف
حجج الإسلام وأنقض جميع البدع وأزيف حجج السنة فاعلم
أن هذا فرض على الكفاية إنما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك
في أصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم
التوحيد ودقائقه والإتيان على جميع مسائله نعم إن وردت
عليك شبهة في أصول الدين تخاف أن تقدح في اعتقادك
فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما أمكن من الكلام المقنع

واياك والمماراة والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه
جهدك فان من ابتلى به لم يفلح ابدا الا ان يتغمده الله تعالى
برحمته ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة
اهل السنة يحل الشبه ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم
ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض
عن سواه وكذلك لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب
القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب معرفته لتجتنبه وما
يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك
فيلزمك معرفته لتوديه واما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة تؤديه
ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق
والجنايات وانما كل ذلك فرض على الكفاية فان قلت هذا القدر
من علم التوحيد وهل يحصل بنظر الانسان من غير تعلم فاعلم
ان الاستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى
بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم
سبحانه ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة
كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود نفعها كثير وقطعها شديد
وخطرها عظيم كم من عدل عنها وكم من سلكها فذل وكم من

تمت تحريرات از وجرات شوند

شاكلة

متابرة فيها منحر وكم من حسير منقطع وكم من سالكها هو ذلك قطعها
في مدة يسيرة واخر متحير فيها سبعين سنة والامر كله بيد الله تعالى
اما تفهيم ما ذكرناه شدة الحاجة للعبد اليه وبناء امر العبادة
كلها عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روى ان الله تعالى اوحى
الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال
الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال
قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك الي وعن علي رضي الله عنه انه قال ما ابالي
ان لو مت طفلا ادخلت الجنة ولم اكبر فلم اعرف ربي فان اعلم الناس
بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله نصيحة واما بعد
فاياك نفسك في الاخلاص في طلب العلم وليكن طلبك طلب دراية لا طلب
رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس
به الامراء ويباهي به العلماء او يتصيد به الحطام فتجارته بائرة ما لكم وصفقته
خاسرة قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى عملت في المجاهدة ثلثين
سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان
يزين لك الشيطان فيقول اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم
في العلم فتركه اولى فلا تطلبن ذلك فلقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار

علي

العلم

العلماء

الفقراء

فرايت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من اي مال قال
لا من المال من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام
بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى بعبادة ملائكة
السموات بغير علم كان من الخاسرين فتشمر في طلب العلم
بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل فالملال
والافات في خطر الضلال والعياذ بالله عز وجل ثم جملة
الامر انك اذا نظرت في دلايل صنع الله تعالى وانعمت النظر
علمت ان لنا الها قادرا عالما جبارا مريدا سميعا بصيرا
متكلما منزها عن حدوث القدرة والكلام والعلم و
الارادة مقدسا عن كل نقص وافة لا يوصف بصفات
المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثين لا يشبه شيئا من خلقه
ولا يشبهه شي ولا يتضمنه الاماكن والجهات ولا تحل
الحوادث والافات ونظرت في معجزات الرسول صلى الله
عليه وسلم واعلام نبوته فعلمت انه رسول الله وامينه
على وحيه صلوات الله وسلامه عليه وما كان السلف يعتقدونه
من الله سبحانه مرئي في الآخرة وانه تعالى موجود وليس في جهة
محدودة وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ليس بحروف

منعت

معطوفه

المخلوقات

مقطعة ولا اصوات مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة
ولا اصوات مختلفة اذ لو كان وانه لا يكون في
الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا
بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته ومشيته فمنه الخير والشر
والنفع والضر والايمان والكفر فانه لا واجب على الله تعالى
لاحد من خلقه فمن اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد
على لسان صاحب الشرع عليه الصلوة والسلام من امور الاخرة
كالحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط
فهذه اصول درج السلف رضوان الله عليهم اجمعين
على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليه الاجماع قبل
شيوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع
في الدين واتباع الهوى من غير دليل ثم نظرت في اعمال
القلب في المواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا
الكتاب بتحصيل لك علمه ثم تعرف جملة ما يحتاج الى استعماله
كالطهارة والصلوة والصوم ونحوه فقد اديت
فرض الله سبحانه عليك الذي تعبدك به في باب العلم
ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين

في العلم ان عملت بعلمك واقبلت على عبادة معادك كنت عبدا
عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل
وذلك الشرف العظيم واعلم ان لك القيمة الكبيرة والثواب الجزيل
وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك
وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه المسؤول
لان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الثاني في العقبة الثانية وهي عقبة التوبة

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى بالتوبة وذلك
لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شؤم الذنوب
يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع
من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات وان الاصرار على الذنوب
يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة ولا خلوص
فيها ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم
الله سبحانه فيجر صاحبها الى الكفر والشقاوة فيا عجبا
كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم وقسوة وكيف
يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف

يقرب للمناجات من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات
نفي الخبر عن الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد تنحى
الملكان عن كذب ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا
اللسان لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد المصر
على العصيان توفيقا ولا يجد اركانه لعبادة وان
اتفق فيكون بلا حلاوة معه ولا صفوة فكل ذلك
لشوم الذنوب في ترك التوبة ولقد صدق من قال
اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك
محروم قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه في التا
[illegible] الامرين انما يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك
فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة
عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة
العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك
تبرعك والدين عليك حال لم تقضه فكيف تترك
لاجله الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور
والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه

وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا حال
العصاة المصرين على المعصية والله المستعان
فان قلت فما معنى التوبة الذي وجدها
في ما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج
من الذنوب كلها فاقول اما التوبة
فانها سعي من مساعي القلب وهي عند التحصيل
في قول العلماء رضي الله تعالى عنهم تنزيه
القلب عن الذنوب قال شيخنا رحمه الله في حد
التوبة انها ترك اختيار ذنب سبق مثله
منه منزلة لا صورة تعظيما لله تعالى وحذرا
من سخطه فلها اذن اربع شرائط احدها
ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه
ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب
البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه

انه ربما يعود اليه اولا يعزم على ذلك بل يتردد فانه
ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غاير تايب عنه
التايب ان يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله
اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تايب
الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم
كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تايبا من الكفر
اذ لم يسبق عنه كفر بحال وان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
كان تايبا لما سبق عنه ذلك من قبل والثالث ان الذي سبق
يكون مثل ما يترك باختياره في المنزلة والدرجة لا
في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي سبق
منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك
يمكنه التوبة لا محالة اذ لم تغلق عنه بابها ولا عليه
ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الآن
على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لانه
يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة
والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك
معاصي وان كان الاثم يتفاوت في كل واحدة بقدر

لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها منزلة واحدة و
هي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر
فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق و
سائر ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن امثالها اليوم في الصور
الرابع ان يكون اختياره لذلك تعظيما لله تعالى وحذرا
من سخطه واليم عقابه مجرد الا لرغبة دنيا او رهبة من
الناس او طلب ثناء وصيت او ضعف في النفس او فقر وغير ذلك
فهذه شرايط التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت
فهي توبة حقيقة صادقة واما مقدمات التوبة فثلث
احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله
سبحانه واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثة
ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس
ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب
مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله
من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه الاذكار
دهرا ودهرا اناء الليل والنهار فانها ستحملك
على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان
قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم

يذكر

بذكر ما ذكرتم من شرائطها وشدد هم شيئاً تعالى الله اعلم اولاً
ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه
وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة للعبد مامور بها
ثم انا قد علمنا يقيناً انه لو ندم على الذنوب لاجل ذهاب ذلك جاهه
بين الناس او ماله في النفقة فهو ذلك لا يكون توبة بل ذنب على ذنب
يعني لذهاب ماله وجاهه بين الناس او ماله فعلمت بذلك ان في الخبر
معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه
مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك صفات التائبين وحالهم فانه اذا
ذكر الاذكار الثلثة التي مقدمات التوبة يندم وجملة الندامة
على ترك اختيار الذنب ويبقى ندامته في قلبه في المستقبل ويحمله على
الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من الباب التوبة وصفات
التائبين سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقاً ان شاء الله تعالى
فان قلت كيف يمكن للانسان ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب
البتة من صغير او كبير كيف وانبياء الله عليهم السلام الذين هم اشرف
خلق الله سبحانه قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه ام لا — الدرجة ١٢
فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله تعالى يختص برحمته

من يشاء ثم من شرائط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع منه
بسهو وخطاء فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين
على من وفقه الله عز وجل فان قلت انما يمنعني التوبة
لاني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة
فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان
ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان
تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم
والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذاك
وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت
منها وتطهرت فليس عليك الا هذا الحدث الذي
احدثته الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة
الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك
من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق
والهداية فهذه هذه واما التخرج عن الذنوب والتخلص
منها فاعلم ان الذنوب على الجملة ثلثة اقسام احدها
ترك واجبات الله عز وجل عليك من صلوة او صوم او زكوة
او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن لك منها والثانية ذنوب

بينك

بينك وبين الله سبحانه كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا ونحو ذلك
فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثله ابدا
والثالثة ذنوب بينك وبين العباد وهذه اشكل واصعب
وهي اقسام قد يكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة
وفي الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه ان امكنك فان عجزت عن
ذلك لعدم او فقر فتستحل منه وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل
او موته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير
الحسنات والرجوع الى الله تعالى بالتضرع والابتهال ان يرضيه
عنك يوم القيمة اما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او الدية
حتى يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى
والابتهال اليه سبحانه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما العرض
بان اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب
نفسك بين يدي من قلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه
ان امكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ وهيجان فتنة
في اظهار ذلك وتجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله
سبحانه ليرضيه عنك يوم القيمة والاستغفار الكثير لصاحبه
واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحو ذلك

فلا وجه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة وغيظا بل يتضرع الى الله
سبحانه ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته وان امنت
الفتنة وهو الصحيح وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته
او ضللته فهو اصعب الامور فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت
ذلك عنده وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال
الى الله سبحانه جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنده وجملة الامر
فما امكنك من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك رجعت الى الله
سبحانه ودعا بالتضرع والصدق ليرضيه عنك يوم القيمة فيكون
ذلك في مشيئة الى الله يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم و
احسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي خصماءه
من خزانة فضله ولا حكم عليه فاعلم هذه حقارة اشد الفهم هذا فاذا
انت علمت ما وصفت وبرات القلب عن اخبثه وامثالها في
المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها واذا حصلت
منك بتربية القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت وارضاء
الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب مغفورة ان شاء الله تعالى
وهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب
التوبة من كتب احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى الله

بدله
نفسك بين (٢)

عقبة

تائبا وكتاب الغاية القصوى ثالثا نجد فوايد كثيرة وشرحا حاً والذي ذكرناه ههنا
هو الاصل لابد منه وبالله التوفيق **الفصل الاول** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة صعبة
امرها مهم وضررها عظيم ولقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني رحمه الله تعالى
وكان من الراسخين في العلم العاملين به انه قال دعوت الله سبحانه ثلثين سنة
ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت عنه ثلثين سنة
فما قضيت لي الى الآن فرايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول لي اتعجب من
ذلك اتدري ماذا تسأل الله انما تسأل الله عز وجل ان يحبك اما سمعت الله تعالى
يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر
الى هولاء الائمة فاهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم
واما الضرر المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله شوم
وشقوة فلينك واياك من تنظر الى ابليس وبلعم بن باعور كان مبدأ
مبتدأ امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الابدين فعليك
رحمك الله تعالى بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك عروق هذا الاصرار وتخلص
رقبتك من هذا الاوزار ولا تامن قساوة القلب وتامل حالك فلقد
قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب
الذنوب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة
منجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيئا فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبيرة

فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا وانا ابكي
عليه منذ اربعين سنة قيل وما هو يا ابا عبد الله
قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت
الى حائط جاري فاخذت منه قطعة من طين ليغسل
يديه فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان
الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله عز وجل وابتهل
واذكر حال ابينا آدم عليه السلام الذي خلقه بيده وحمله الى جنته
على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل
حتى روي ان الله تعالى قال له يا آدم كنت لك قال نعم الجار
يا رب قال يا آدم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج
كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي
بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل الله تجاوز عن ذنبه
او اجل هذا حال الله تعالى مع نبيه وصفيه فكيف
حال الغير في ذنوب لا تحصى وهذا التضرع التائب وابتهاله
فكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال شعر يخاف على نفسه
من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب فان تبت ثم نقضت
التوبة وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا ونفسك

الملائكة

اي جار

لعلي

لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثالثا
ورابعا وكلما اتخذت الذنب والعود اليه عزيمة
فاتخذ التوبة والعود اليها عرفه فلا تكن في التوبة اعجز
منك في الذنب فلا تياس ولا يمنعك الشيطان من التوبة
بسبب ذلك فانه دلالة الخير اما تسمع الى قوله عليه السلام خياركم كل مفتتن
تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله تعالى
بالندامة والاستغفار وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه
وبالله التوفيق **الفصل الثاني** وجملة الامر انك اذا ابتدأت
فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود
الى الذنب ابدا البتة ليكون ما كان على وجه علم الله سبحانه
من صدق وعزمك من قلب نقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي
الفوائت بما تقدره ترجع في البادي الى الله بالابتهال والتضرع
ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات
كما يجب وتضع وجهك على الارض في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه ثم
يجعل التراب بدمع جار وقلب حزين وصفت حال وتذكر ذنوبك
واحدا واحدا امام املك وتلوم نفسك العاصية الجانية

عليها وتوبخها وتقول اما تستحيين ما نفس اما حان لك ان تتوبي الى الله
مطلقة لعذاب الله سبحانه الك حاجز من سخط الله سبحانه وتعالى
وتبكي من ذلك كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب الكريم الرحيم
سبحانه تعالى وتقول الهي عبد الابق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح
عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك
وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي
من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة
وهو يا جلي عظايم الامور يا منتهى همة المومنين يا من اذا اراد امرا
فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبا وانت المذخور لها يا مدخري
لكل شدة كنت اوخرك لهذه الساعة فتب علي انك انت
التواب الرحيم ثم اكثر من البكاء والتذلل وقل يا من لا يشغله
سمع عن سمع يا من لا يغلطه المسايل يا من لا يبرمه الحاح الملحين
اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك انك على كل شيء قدير
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فتستغفر لجميع المومنين والمومنات
وترجع الى طاعة الله تعالى فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد خرجت
من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه ولك
من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف وحصر

الاخ والخلاص

بلغ مقابلة

الامن والخلاص ونجوت من غصة المعاصي وبليتها في الدنيا و الآخرة
وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله سبحانه والله ولي
التوفيق والهداية بمنه ورحمته العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى بدفع العوائق اربعة احدها
الدنيا ودفعها بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد
والزهد لامرين احدهما لتستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة
في الدنيا تشغلك عن العبادة اما ظاهرك بالطلب واما باطنك بالارادة
وحديث النفس وكلاهما يمنع عن العبادة فان النفس واحدة والقلب
واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والآخرة
كمثل الضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق
والغرب بقدر ما تميل الى احدهما اعرضت عن الآخر اما شغلها في الظاهر
فقد روينا عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال راودت الجمع بين العبادة
والتجارة فلم تجتمعا فاقبلت على العبادة والتجارة فلم تجتمعا فاقبلت
على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه انه قال لو كانتا تجتمعان
لاحد غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من القوة وللدين فاذا كان
الحديث كذلك فلا ضرر بالفانية عوض والسلام واما شغلها في القلب والباطن
لمكان الارادة فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه

بك

اضرّ باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى

فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا

يتيسر لك العبادة حقا واما اذا زهدت فيها فتفرغ ظاهرك

وباطنك تيسر لك العبادة بل تعاونك اعضاؤك ولقد روي

عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ان العبد اذا زهد

في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة

فهذه هذه والثاني في الامرين انه تكثر قيمة عملك قدره وشرفه

فلقد قال عليه السلام ركعتان من رجل عالم زاهد قلبه خير

واحب الى الله من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا

سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف وتكثر بذلك فحق لمن

طلب العبادة ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان قلت فما معنى

الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا

رحمهم الله زهدان زهد مقدور ثلاثة اشياء ترك طلب المفقود

في الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها واما الزهد

الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الدنيا على قلب الزاهد

ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد مقدمات للزهد الذي هو غير

مقدور فاذا اتى به العبد بان لا يطلب ما ليس عنده من الدنيا

ويفرق ما عنده من الدنيا ويترك بالقلب ارادتها واختيارها
لا افاتها او زنده هذه برودة الدنيا على قلبه لاجل الله تعالى
وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان
اصوب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب اي
من تارك لها ابطل بره محب مريد لها بباطنه فهو بين
بكا نحيه ومقاساة من نفسه مشكل بيده والشاه
كله في هذه الامر تسمع الى قوله سبحانه وتعالى
وتقدس تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
علق الحكم بنفي الارادة دون الطلب والنول
للمراد وقوله سبحانه وتعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من
نصيب وقوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا

ايد المراد ترك
الارادة لا ترك الدنيا
البتة بذا حرره الفقير

أو ما ترى الإشارة كلها إلى الإرادة فأمرها هو المهم إذ الكل للعبد إذا واظب
واستقام على الأولين أعني الترك والتفريق فما مولاه في فضل الله تعالى أن يوفقه
لدفع هذه الإرادة والاختيار عن القلب فإنه المتفضل الكريم عز وجل ثم الذي
يبعث على الترك والتفريق ويهوّن عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها
وقد أكثر الناس في القول في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها
وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها قال شيخي الإمام رحمه الله تعالى لكن
يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله فاته لأن الشركاء قل أحد أحب وصاله ومن ترك
شيئا لمكان الشركاء فيه أخذه لو انفرد فيه فالقول البالغ ما قاله شيخنا
رحمه الله تعالى إن الدنيا عدوة الله تعالى وأنت تحبها ومن أحب أحدا يبغض
عدوه قال ولأنها في أصلها سخيفة جيفة الأذى إن آخرها إلى القذر والفساد والتلاشي
والاضمحلال لكنها جيفة صبغت بطيب وطوّنت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها
العاقلون فإن قيل فما حكم الزهد في الدنيا أهو فرض أم نفل فاعلم أن
الزهد عندنا يقع في الحلال والحرام فهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة
هذا الحرام المستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها إلا عند الضرورة
بمقدار دفع الضرورة وأما الزهد في الحلال إنما يكون للأبدال يكون
عندهم الحلال بمنزلة المار ولا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال وهذا مع البرودة
على ~~إنما يكون للأبدال يكون عندهم~~ في القلب بأن ينقطع همه عنها

ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار وارادة
فان قلت كيف يمكن ان يصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة
المطلوبة عند انسان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المستقذرة و
البنية بينتنا والطبع طبعا فاعلم ان رزق التوفيق الخاص وعلم
افاتها وقدرها في اصلها فيصير عنده كذلك وانما يتعجب من هذا
الراغبون العميان عن عيوب الدنيا ولذاتها المغترون بظاهر نفادها و
زينتها وساضرب لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا يمثل بانسان
صنع خبيصا بشرائطه من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم
قاتل فابصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع الخبيص بين ايديهما
مزينا مزخرفا فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم
يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله ان يتناول منه بحال
البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل اصعب لمكان ما يعلم
فيه من افته فلا يغتر بظاهر زينته واما الرجل الاخر الذي
لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم
يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما
يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستقيمين
والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم لكن زرق فيه وامتخط
ضخمه وزينته فالرجل الذي شاهد منه ذلك النفور بحاله

مستقذر الذي لك الخبيص فراغته لا يكاد يقدم عليه الا
عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك
فهو جاهل بآفته مغتر بظاهره حريص عليه متلهف معجب
محب فهكذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة والاستقامة
واهل الغفلة والرغبة وانما اختلف حال الرجلين مع استوائهما
في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما وجهل وخسار
كان للآخر فلو علم الراغب والبصير ما علمه الزاهد لكان زاهدا مثله
ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي الراغب لكان راغبا مثله
فعلمت بذلك ان هذا التبري لمكان البصائر دون الطبائع
وهذا اصل معتمد كلام بين يستدل به من تحقق واتعظ
والله ولي التوفيق فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون
قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزاهد في الفضول مما لا يحتاج
اليه في قوام البنية فالمقصود الدوام والقوة حتى يعبد الله سبحانه
لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى انشاءها اقامها بشيء وسبب
وانشاءها اقامها بغير سبب كالملائكة ثم الكائن بشيء فان شاء فبشيء
حاصل عندك او بطلبك او بكسبك وانشاء اقامها بغير شيء
غيره بسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك ولا كسب
كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من

حيث

حيث لا يحسب فاذن لا يحتاج بحالة الى الطلب والارادة فان
لم تنو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك العدة على عبادة الله تعالى
دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة
منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا الدنيا فلا يقدح في زهدك
وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق العائق الثاني الخلق
ثم عليك وفقك الله تعالى وايانا لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك
لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى على ما حكي عن بعضهم
انه قال مررت بجماعة وهم يترامون وواحد جالس بعيدا منهم
فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى الي فقلت انت
وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء
فقال من غفر الله عز وجل له فقلت اين الطريق فاشار بيده
الى السماء وقام ومر بيني فالخلق اذن يشغلونك عن العبادة
بل يقطعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما حكي عن حاتم
الاصم رحمه الله تعالى طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد طلبت
منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا
فقلت لا تمنعوني عنها اذا فسعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا
يرضى الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم انا بعكم فعلوا

فتركتهم واستغلت بخاصة نفسي واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك
محمد اصلي الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت
اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح والنصح لنا
مما لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره
عليه السلام واقبل نصيحته ولا تشك في انه صلى الله عليه وسلم كان
اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تشتغل بالعلل الكاذبة ولا تخادع
نفسك في الافات فانه لك ولا عذر لك والوصف الذي ذكرنا منها في الخبر
المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما انه قال
بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكروا الفتنة
فقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الناس مرجت عهودهم وخفت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقمت فقلت ما اصنع عند
ذلك جعلني الله فداك فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك و
خذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة
وذكر في خبر اخر انه عليه السلام قال ذاك ايام الهرج قيل وما ايام
الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه وذكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه في خبر اخر انه قال للحارث بن عميرة انه يدفع عمرك فسياتي
عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه

الوقت فيه

٢٥

الذي يخشى فيه قايد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقلبت
الرشاء ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا والنجا ثم النجا حلت
وجميع ما ذكر في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله ثم
ان السلف الصالح رحمهم الله تعالى اجمعوا على التحذير من زمانهم
واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا نشك
انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا وانما ازداد
شرا واضر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري
يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان
قلت انا لمن حلت في زمانه فهي في زماننا هذا وجبت وافترضت
وعن سفيان ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في زمان
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من ان يدركوه
فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على
قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا
ومن الناس فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من
خلطاء السوء في مثل هذا قيل ٩ هذا الزمان الذي كنا نحاذر
في قول كعب وفي قول ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث له غير
لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ذهب الحق فردوا جميعه

بعرض

والظلم والبغي فيه غير مردود ولقد وجدت عن سفيان بن
عيينة انه قال قلت للثوري اوصني قال اقلل من معرفة الناس
قلت يرحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة المؤمنين
فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما تكره الا ممن
تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله
اوصني قال اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد وقد
قيل في معنى هذا الخبر ~ وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش
عن هذا الورى والكنف ؛؛ فما ان عرفت الناس الا ذممتهم
جزى الله خيرا كل من لست اعرف ؛؛ وقال الفضيل رحمه الله تعالى
هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر وعن داود الطائي رحمه الله صم عن الدنيا
واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الاسد وعن
ابي عبيد ما رايت حليما قط الا قال في آخر كلامه ان احببت الا
تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب اكثر من
ان يحتمل هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب
اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه تر العجب والعجايب و
للعاقل الاشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله واحسانه انه بنا رحيم

تمت

26

تقتيض التفرد عن الناس في هذا الزمان ان الناس يفسدون عليك
ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم
من دواعي الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث
قال رؤية الناس بساط الرياء فهولاء الزهاد قد خافوا على انفسهم
من هذا المعنى حتى تركوا الملاقات والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن
حيان قال لاويس القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء قال اويس
~~القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء~~ قال اويس قد وصلتك
بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة
واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل لسليمان بن الخواص
قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه قال لان القى شيطانا
مارداً احب الي من لقايه فاستنكر واذلك من قوله فقال
اني اذا القيته اخاف ان اتزين واذا القيت شيطانا امتنع
منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا
املنا ثم دعوا في آخر حديثهما وقال شيخ ما اظنني جلست
مجلسا انا له ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف
ما اظنني لكني جلست مجلسا انا له اخوف من مجلسي هذا
الست تعدت الى احسن حديثك وعلومك تحدثني بها

واظهر تيهاوانا كذلك فقد وقع اربا فبكى شيخ الامام ملتام حتى غشي عليه وكان
بعد ذلك يتمثل بهذا الشعر يا ويلتى من موقف ما به اخاف من ان تعدل
الحاكم يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم فهذه حال
اهل الزاهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال اهل الرخصة والبطالة بل
فما حال اكثر اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح فيه فساد عظيم
واصبح الناس في مرض كثير فانهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا تكاد
تحصل لك منها شيئا ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتى لا تكاد يسلم لك
شيء فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله تعالى من شر هذا
الزمان واهله والله عز وجل الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم
العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي
يجب منها فاعلم رحمك الله تعالى وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل
رجل لا حاجة بالخلق اليه في علم دين وبيان حكم فالاولى لهذا الرجل التفرد
عن الناس فلا تختلطهم الا في جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالاوجه
في معيشة لابد له من ذلك والا فيواري شخصه ويلازم بيته لا يعرف ولا يعرف
فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس ولا يختلطهم في امر من
الامور الشرعية من دين او دنيا او جماعة وغيرها لا يرى له في ذلك
من مصلحة وفراغة فانه لا ينبغي ذلك الا بالجد امر من امان

جمعة او

يصير الى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤوس
الجبال وبطون الاودية وبحق هذا فهذا
احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع
البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة
ان ضرر الذي يرى في مخالطة الناس بسبب هذه
الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له العذر
في ذلك ولقد رايت ابا بكة حرسها الله تعالى بعض المشايخ المتعوذين منهم اهل العلم وهو
لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه فسالت حالة لمجاورته في ذلك يوما وقال
تردد اليه فذكر عذره ما اثرنا اليه وهو ان ما يجده من الثواب لا يفي
بما يلحقه من الاثام والتبعات في الخروج الى المسجد الحرام ولقاء الناس قلت
انا وجملة الامر فلا يجب على المعذور والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور
ولكن الطريق المعمول فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجملة والجماعات ويحضر
الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس
برة فسبيله الخروج الى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض ثم ان الطريق
الثالث وهو ان يكون مع الناس في مصر واحد ولا يحضر جمعة ولا جماعة
لعذر يراه في ذلك من دون زاوية يتعبد فيها فانه يحتاج الى نظر دقيق
وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر عظيم [illegible]

اسلم واحفظ له والله ولي الهداية بفضله واما الرجل الثاني
فرجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر الدين
لبيان حق او رد على مبتدع او دعوة الى خير يفعل او قول او
نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل يجب
نفعه بينهم ناصحا لخلق الله عز وجل ذابا عن دين الله تعالى
مبينا لاحكام الله عز وجل فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله
هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا
ذلك فلقد حكي عن الاستاد ابي بكر بن فورك انه قصد ان يتفرد
لعبادة الله تعالى عن الخلق فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا
ينادي يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله تعالى على خلقه
تركت عباد الله تعالى فرجع وكان هذا سبب محبته
للخلق وذكر في مامون بن احمد ان الاستاد ابا اسحاق
قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم
في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا
انا لا نقوى على صحبة الناس وانما اعطاك الله تعالى قوة
فليلزمك ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي

ولما ان لهم

وكان لهم رضي الله تعالى عنهم مع غزارة علمهم العمل الجسيم النظر الدقيق في
سلوك طريق الآخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه الذي اسس
في باب الدين يحتاج في صحبة الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل
وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دائمة والثاني ان يكون
في المعنى منفردا عنهم وان كان في الشخص معهم فان كلموا كلمهم زاروه وان
عظموه على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه وفتروا فيه استغنم
ذلك منهم وان كانوا في حق وخير ساعدهم وان صادوا الى اللغو والشر خالفهم
وهاجرهم بل رد عليهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من
الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التي ترفع اليه ما امكنه
ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استحسانا
لذلك ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاخذ ان
اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر ويتحمل تظاهره لهم ويكتم
حاجاته عنهم فيقاسيها بنفسه ويعالجها في سره وباطنه ثم
يحتاج مع ذلك الا ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما
قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي وان
نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم في هاتين
عرض لي ابيات من الشعر وهي فان كنت في هدي الائمة راغبا فوطن على ان

نهارك شغل الناس في غير منة
وليلك شوق غاب عنه الطلايع

يذكيك الوقايع بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر مايع
لسانك مخزون وراسك ملجم وسرك مكنون لدى الرب ذايع وذكرك
مغمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جايع وقلبك مجروح ووقتك
كاسد وفضلك مدفون وطبعك تتابع وفي كل يوم انت جارع غصة
من الدهر والاخوان والقلب طايع فدونك هذا الليل خذه ذريعة
ليوم يحو من حر فيه الذرايع نعم يكون بالنفس معهم وبالقلب ما ابعده عنهم
وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته
يا بني عش مع اهل زمانك ولا تعتقد لهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء
والاقتداء مع الاموات وعن ابي مسعود رضي الله تعالى عنه خالط الناس
وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا ماج الفتن
بعضها في بعض وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين مدبرين لا
يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرقبون معيدا ولا يعنيهم
امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم العذر
في العزلة والتفرد ودفن العلم واخفاء ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد
الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتوزع عن الناس
فافهمه فان الغلط فيه عظيم وضرره كثير وبالله التوفيق فان قيل
اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة

موقع

ان الشيطان مع الفذ وهو ذيب الانسان يأخذ الشاذة والناصية والقاصية وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت في ذم [illegible] الزام [illegible] وعليك ما تحضره وامر بالعزلة والتفرد في اواخر الزمان فلا تناقض في قوله عليه السلام ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها انه يعني بها في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على الضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه الجمهور والشذوذ عنهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس منه امر ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة ان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحوهما فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات ولطائف الله تعالى بعين الرحمة وكذلك للفضل ان حق المنفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الامور لما فيها من ضروب الافات والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في امر الدين واما الرجل البصير القوي في امر دين الله تعالى فاذا كان زمان الفتنة التي حذر النبي عليه السلام الامة منه وامرهم بالعزلة فالعزلة له اولى لما في الخلطة الفساد والافة وان لا ينقطع عن جموع الاسلام والجماعات العام وان اراد ان ينفرد عن الناس بمرة فليكن شاهق جبل وبطن فلاة ليصلح يراه في دينه

ثم قلت ولا ادري مثل هذا الرجل اينما كان الا يمكنه الله تعالى
من حضور الجماعات والجمعات وساير جموع الاسلام فنبهم
ليلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله تعالى
بمكان وان تغير الناس وفساده وكذا سمعنا من حال الابدال
انهم يحضرون جموع الاسلام اينما كانت ويسيرون من
الارض حيث شاؤا وان الارض تطوى لهم وينادون
بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم
بما طهروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر
في خلاص نفسه واعان الطالب الذي لم يصل الى المقصود كما انشا
لنا ولقد عرض لي في صفة حال البيان من النور وقلت
طوبى الطالبون واتصل الوصل وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا حيارى بين حد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالعباد وهذا نفس حال المحال للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب بالغم وتهدي الى
طريق الصواب يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ويا منقذي
من الاوصاب والنقيض عنان البيان ورجع الى المقصود

ومن النور

بعضهم قد داموا دوام الارض الى الان

ومن شأن العزلة فقد خرج عن شرط الباب فإن قيل اليس قد قال النبي
صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر
عن التفرد فاعلم ان ذلك في غير زمن الفتنة لما ذكرناه وايضا
فانه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص
معهم وفي المعنى منفرد عنهم وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي
نحن في شرحه لا التفرد في الشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله
وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه الله كن واحدا جامعا في
ربك ذا انس ومن الناس وحشيا فإن قيل فما تقول في دور
علماء الآخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الآخرة
والكون فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا الشان
لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت معنيين والفائدتين
النبيلتين احديهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة
والمخالطة والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في
جمعهم وجماعاتهم وتكثير شعاير الاسلام فتحصل السلامة
التي هي للمنفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين مع ما
للناس فيهم من العدة والبركة والنصيحة فصار الكون
فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل في هذا الشان

ومشاهد

اقام اكثر المعاصرين بين الناس لتنفعهم لعباد الله تعالى في باب الدين وقلة دائم

الخلق ادابهم وحسن رسومهم يتعودنها فان افصح لسان الحال انطق من لسان

المقال فصار ذلك احسن تدبير في امور الدين للعلم والعبادة واحكم راي

فان قلت فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين الصحيحين ام يعتزلهم فاعلم

فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولية وسيرهم المرضية المورثة

عن سلفهم فهم لك اخوان في الله عز وجل وافصح اعوان على عبادة الله تعالى

فلا يشغلنك عنهم العزلة والتفرد وانما مثلهم مثل ما يسمع من زهاد لبنان

وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر

واما اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا طريقهم المورد شرعيه الاسلام منهم

فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزمهم زاويته ويكف

لسانه واشاركهم في خيراتهم ويجانبهم في سائر احوالهم وافاتهم فيكون

هو في خلوته من اهل العزلة والتفرد عن المتعودين فان قلت فان اختار

هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في نفسه وتجنب

افة تتوجه عليه في مجتمعهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة

حصن يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج منها بمنزلة

الصحراء يدور فيه فرسان الشياطين وعسكرها

فيميلون ويتسارعون فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن

والصحيح

الصالحين

العدو منه من كل جانب تحمل به ما شاء فاذن ليس لهذا الضعيف
الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء
واستوى عنده الحصن والصحراء فلا عليه اذا خرج غير
ان الكون في الحصن احوط على كل حال اذ لا تؤمن الفلتات
والاتفاقات السوء واذا كان الامر بهذه الجملة فالكون مع
رجال الله والصبر على مشقة الصحبة اولى للمرتاض و
طالب الخير بكل حال وان لا مانع للقوي البالغ الاستقامة عن
التوحد منهم فاعلم هذه الجملة تاويلها تغنم وتسلم ان شاء الله تعالى
فان قيل فما تقول في زيادة الاخوان في الله تعالى ومواصلة الاصحاب
بالملاقاة والتذاكر فاعلم ان زيادة الاخوان في الله تعالى
من جواهر عبادة الله عز وجل وفيها الزلفة الكريمة الى الله
عز وجل مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلب ولكن بشرطين
احدهما ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي عليه
الصلوة والسلام لابي هريرة زر غبا تزدد حبا والثاني
ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الريا والتزين وقول اللغو والغيبة
ونحو ذلك فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكى ان
الفضيل وسفيان رحمهما الله تعالى تذاكرا فبكيا فقال سفيان

مبلغ

للفضيل يا ابا علي ارجوا انا جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا
فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي من هذا قال
وكيف ذلك يا ابا علي
هذا فقال قال الست تعمدت الى احسن حديثك فحدثتني
به وانا عمدت الى احسن ما عندي فحدثتك فتزينت لي
وتزينت لك فبكى سفيان فيجب ان يكون مجالستك للاخوان
وملاقاتهم على مقدار قصد في احتياط وفطن لطيف فلا يقدح
ذلك حينئذ في عزلتك وتفردك عن الناس
في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود حينئذ عليك وعلى
اخيك بمضرة وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم وبالله التوفيق
فان قلت فما المعنى في العزلة عن الناس والتفرد وما يعود
علي ذلك فاعلم ان الذي يعود عليك من ذلك ثلاثة امور
احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس فاذا رأيت النفس تطلع الى ملاقاة
الناس وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك
فضول ساقه الفراغ فاذن اذا عانقت العبادة حينا
وجدت حلاوة المناجاة واستانست بكتاب الله واشتغلت

32

عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام
كان اذا رجع عن المناجات استوحش عن الناس وكان يجعل
اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في
ذلك الوقت كاصوات الحمر وعليك بما قال شيخنا اتخذ الله صاحبا
ودع الناس جانبا والثاني في قطع الطمع عنهم تماما فيهون عليك امرهم
فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء والثالث
تبصر افاتهم فتتذكر ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار الثلثة
اذا زمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته
وجهته اليك فالزمنك بابه وبالله التوفيق العايق الثالث
الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك
لخصلتين احدهما انه عدو لا مطمع فيه بمصالحة وابقاء
عليك بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذن للامن
من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتامل ايتين من كتاب الله تعالى
احدهما قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية وهذا اقصى التحذير و
غايته والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك

ومنتصب ابدا لمحاربتك فى اناء الليل واطراف النهار يرميك
بسهامه وانت غافل فكيف يكون الحال ثم وقعت معك
نكتة اخرى وهى انك فى عبادة الله ودعوة الخلق الى
باب الله تعالى بفعلك وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته
ومراده وحرفته فقد انتصبت كانك قمت وشددت وسطك
لمغايظة الشيطان ومكايدته ومناقضته فهو ايضا يشد وسطه
ليعاديك ويقاتلك ويناقضك حتى يفسد عليك شانك حتى يهلك
راسا اذ لا ياس من بعد جانبك بعد فانه يسعى ويقصد بالمهالك
لمن لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوالفه
كالكفار واهل الضلالة واهل البدعة فى بعض الاحوال فكيف
يقعد عمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذن مع
سائر الناس عداوة عامة ومعك ايها المجتهد فى العبادة والعلم
عداوة خاصة وان امره كله لهم وان له عليك اعوانا اشدها
عليك نفسك وهواك وله اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل
ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى حيث قال الشيطان فارغ
وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه
وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذن لا بد من

يوافقه

...محاربته وقهره والافلات من الفساد والهلاك فان قلت فباي شي احارب
الشيطان وباي شي اقهره وادفعه فاعلم ان لعبده الصالحة في هذه المسالة طريقين
...ما قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذ بالله تعالى لا غير فان
الشيطان كلب سلطه الله تعالى عليك فان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع
عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه
عنك اولى والثاني ما قال اخرون ان الطريق المجاهدة القيام عليه بالدفع والرد والمخالفة
والذي عندي ان الطريق العدل الجامع في امره ان نجمع بين الطريقين فنستعيذ بالله
من شره كما ذكرنا وهو الكافي في شره ثم ان رايناه يغلب علينا علمنا انه ابتلاء
من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امر الله تعالى وصبرنا كما انه سلط علينا
الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة
قال الله تعالى وليعلم الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء وقال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره
قال علماؤنا في ثلاثة اشياء احدها ان تعرف وتتعلم مكايده وحيله فلا يتجاسر
عليك كاللص اذا علم ان صاحب البيت قد احس به فر والثاني ان تستخف بدعوته فلا يعلق
قلبك بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح اذا اقبلت عليه ولع بك واذا
اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك فلقد قال
عليه السلام ان ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك فلقد قال عليه السلام ان ذكر الله

تعبت

علمنا

في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن ادم فان قلت كيف تعالى

مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان لله وساوس

بمنزلة بالسهام التي يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة

الخواطر واقسامها والثاني ان له حيلا بمنزلة الشبكات التي تنصبها و

يتبين بمعرفة المكايد وارضاعها ومجاريها ولقد ذكر علماء

رحمهم الله تعالى ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه

تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار لكنا نذكر

ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصم

به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن آدم

ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الالهام وسلط في مقابلته

شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له الوسواس ولدعوته الوسوسة

فالملهم لا يدعوا الا الى الشر في قول اكثر علمائنا رحمهم الله تعالى

وقد حكى شيخنا رحمه الله تعالى عليه ان الشيطان ربما يدعو

الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ل

يمنعه عن الفاضل ويدعوه الى خير ليجره الى ذنب عظيم

خيره بذلك الشر عجب او غيره فهذان داعيان قائمان

قلبه يدعوانه وهو يسمع بقلبه يحسو ذلك على ما ر

في الاعتبار

في الاخبار انه اذا ولد لابن ادم مولود قرن الله تعالى
به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فان الشيطان جاثم
على اذن قلب ابن ادم الايسر والملك جاثم على اذن
قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال عليه السلام للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة
يعني نزغة بالدعوة من قولهم لم بالمكان والم به اذا نزل ثم ركب الله سبحانه في هذه الانسان
طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كان من حسن او قبيح فذلك هو النفس
الصائرة الى الآفات فهذه ثلاثة دعاة ثم اعلم بعد هذه ان مبتدأ
الخواطر هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه
وتسمى خواطر لاضطراب المعاني خطرات الريح ونحوه وحدوثها جميعا في قلب
العبد بالحقيقة من الله سبحانه لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء
فيقال له الخاطر فقط ومنها ما يحدثه الله تعالى موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى
النفس وينسب اليها ومنها ما يحدثه عقيب دعوة الملك فينسب اليه فيقال له الهام
ومنها ما يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له الوسوسة وينسب
اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوة
فهو كالكسب في ذلك ينسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم بعد
هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون خيرا ا
كراما والزاما للحجة وقد يكون شرا امتحانا وتغليظا للحجة والخاطر الذي

يكون من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا
واستدراجا والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وربما بالخير قصدا
وتعسفا ولقد وجدت في بعض الكتب ان هوى النفس ايضا قد يدعوه الى خير والمقصود
منه شر كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك محتاج الى معرفة
ثلثة فصول لابد لك منها الدين فيها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير
وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوى
او حي بما ذا يفرق بينهما فان لكل واحد منهما دفعا في نوع اخر والثالث
الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني ليتتبع ما يكون من الله
او من الهام ويجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوى على قول
من يقول به فاما الفصل الاول قال علماءنا رحمهم الله تعالى اذا اردت ان
تعرف خاطر الخير وخاطر الشر وتفرق بينهما فاجد الموازين الثلثة يتبين لك حاله
فالاول الذي يخطر لك فاعرضه على الشرع فان وافق جنسه فهو خير
والثاني بالضد اتباعا للطاعة فهو شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان
فاعرضه على النفس والهوى فانظر الثاني مما ينفر عنه النفس نفرة طبع
لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير والثاني مما يميل اليه النفس
ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله تعالى وترغيب فهو شر
اذ النفس امارة بالسوء لا تكاد تطلبها الى خير فان عدم هذه الموازين
فاعرضه على الاقتداء بالصالحين فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير والثاني بالضد

اذ الظاهر

فانظر نشر والنعمت يستبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه
جواد كريم **وأما الفصل الثاني** اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من
الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى ابتداء فانظر فيه ثلاثة
اوجه احدها ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس
وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض العارفين يقول
مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر او مثل الحجر الذي
يقابل بيده بنار بجمعه ولا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته
من جانب دخل من جانب اخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تعالى
اهانة وعقوبة لشوم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال شيخ الامام رحمه الله تعالى هكذا يودي الذنوب الى قسوة القلوب اولها خاطر ثم يودي
الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر ابتداء لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه
من قبل الشيطان هذا في الاكثر لانه مبتدي بدعوة الشر وبطلب الاغواء لكن حال وثالث
ان وجدته لا يضعف ولا ينقص بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الشيطان لما ذكر في تفسير
قوله من الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله تعالى
خنس واذا اغفل وسوس **وأما الفصل الثالث** اذا اردت ان تفرق
بين خاطر خير يكون من الله سبحانه او من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة
اوجه احدها ان تنظر فان كان قويا مصمما فهو من الله سبحانه فان كان

والدين

مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك
كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني الكائن عقيب اجتهاد منك وطاعة
فهو من الله تعالى قال الله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين
اهتدوا زادهم هدى والكائن مبتداء فهو من الملك في الاغلب والثالث
الكائن في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله تعالى قال الله سبحانه فان كان في
الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة
باطن العبد في قول اكثرهم واما الخاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان
استدراجا الى شر يربو عليه فلقد قال شيخنا رحمه الله تعالى الطريق ان وجدت
نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة
لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع البصيرة فاعلم
انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت على نفسك ضد ذلك مع
خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع
بصيرة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله سبحانه او من الملك فلذا كان
النشاط خفية مع عمى في الاتيان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب
ينشطه من ذلك واما الثاني فمحمود الا في مواضع معدودة وذكر في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان الا في خمس مواضع
تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا

وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب واما الخوف فيحتمل ان يكون
في اتمامه واداؤه على وجهه وحقه وقبول الله تعالى اياه واما بصير العاقبة فان
ترتضه وتتيقن انه رشد وخير ويحتمل رويه الثواب في العقبى او رعايته
فاعلم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فهذه جملة الفصول الثلاثة التي لا بد من
معرفتها في فصل الخواطر فارعها والزم النظر فيها فانها ما استطعت
من العلوم اللطيفة والاسرار الدقيقة في هذا الباب والله تعالى هو الموفق بفضله
وكرمه واما فصل الحيل والخداع من الشيطان فمجرى ذلك
ومثاله ان مكائد ابليس الشيطان مع ابن آدم في فعل الطاعة
من سبعة اوجه احدها ان ينهى عنها فان عصمه الله تعالى و
رده بان يقول انا محتاج الى ذلك جدا اذ لا بد لي من التزود من
هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف
فان عصمه الله تعالى ورده بان يقول ليس اجلي بيدي على
ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان
الكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له عجل عجل لتفرغ
لامر كذا فان عصمه الله ورده بان يقول قليل العمل مع التمام
خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل رياءة
للناس فان عصمه الله ورده بان يقول اي شيء اعمل

بمراياة الناس فلا يكفيني رؤية الله عز وجل ثم يريد ان يوقعه في
العجب فيقول ما اعظمك وايقظك فان عصمه الله تعالى ورده بان
قال المنة لله لا لي واكرمني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي
قيمة بفضله ولولا فضله فماذا كان قيمته بعد الفضل في جنب
نعم الله تعالى علي وفي جنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو
اعظمها ولا يقف عليه الا متيقظ وهو ان يقول اجتهد انت
في السر فان الله تعالى سيظهره عليك ويلبس كل عامل عمله واراد
بذلك ضربا من الريا فان عصمه الله تعالى رده بان قال يا ملعون
الى الان كنت تاتيني من وجه افساد عملي والان تاتيني من
وجه اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي
ان شاء اخفى وان شاء اظهر وان شاء جعلني خطيرا او وضيعا
الله وما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهره فليس
بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة
لك الى العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك
ترك العمل ان خلقت شقيا لم ينفعك فعله
فان عصمه الله تعالى رده بان يقول انا عبد
وعلى العبد امتثال الامر بالعبودية والرب

اعلم بربوبيته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الا انه ينبغي العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا

فتجب اليه كيلا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني ان دخلت النار

وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد

على الطاعات بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة

ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمل الجنة ولكن بوعده الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن

السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله تعالى فان الامر

كما ترى وقس عليه ساير الافعال والاحوال واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر

بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العايق الرابع النفس**

ثم عليك عصمك الله تعالى وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء

وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها اعضل الادواء ودواؤها

اشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انه عدو من داخل واللص اذا كان

من داخل البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القايل

نفسي الى ما ضرني داعي تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

والثاني انها عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه

لا يكاد يبصر عليه كما قال القايل وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا فاذن يستحسن الانسان كل قبيح من نفسه

فلا يكاد يطلع على عيبها وهي في عداوتها واضرارها مما ادركت ما يوقعه فيه

في فضيحة وهلاك وهوان لنا الا ان يحفظ الله تعالى بفضله ويعين عليها برحمته ثم اقول
تامل لهذا الرجل بكلمة واحدة متقنعة وهي انك اف انظر وجدت اصل كل حاصل فتنة
وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وافة وقع في خلق الله تعالى واول الخلق الى يوم القيمة
من قبل هذه النفس اما بها وحدها او معونتها ومشاركتها ومساعدتها فاول
معصية لله تعالى كانت من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها العظيم
بعد عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في بحر الضلال وحق الى الابدين اذ لم يكن هنالك
دنيا ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت ثم ذنب
ادم عليه السلام وحواء اطرحته في ذلك شهوة النفس وحرصها على البقاء والحيوة حين
اختر لقول ابليس وكان ذلك بعون النفس وشركتها حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى
ودار الفردوس الى هذه الدنيا الفانية الحقيرة النكدة المهلكة ولقي ما لقي ولقي
اولاده ما لقوا في ذلك اليوم الى ابد الابدين ثم حديث هابيل وقابيل كان سببه الحسد
والشح ثم حديث هاروت وماروت وكان سببه الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيمة
فلا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس
وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير واذا كان عدو بهذه الضرر
كله فحق العاقل ان يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله
فان قلت فما الحيلة الان لنا في هذا العدو وما التدبير في
امره فبين لنا ذلك فاعلم انا قد ذكرنا فيما تقدم ان امرها

ان امرها عجيب صعب اذ لا يمكن قهرها مرة كساير الاعداء اذ هي المطية والالة وقد قيل

ان اعدا اعدى الانسان بحجر فقال كتب الله تعالى كل شي ولكن الا النفس ولا يمكن اهمالها

بالكلية لمكان ضرورتها فيحتاج الى طريق بين الطريقين ترتيبها بقدر ما تحتمل فعل خير

ولضعفها وتجنبها على حد لا تبادر فانت من امرها في علاج شديد ونظر لطيف

ثم انا قد ذكرنا في امرها ان تلجمها بلجام التقوى والورع لتحصيل الفايدة فان جمحت فان

قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى نتمكن

منها فاعلم انك فيها صادق والحيلة فيها تذليلها حتى تنقاد للجام قال علماؤنا رحمهم الله تعالى

انما تذلل النفس ويكسر هواها بثلاثة اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون

اذا انقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان

في علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله والتضرع اليه بان يعينك والا

فلا مخلص اما تسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت

على هذه الامور الثلثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى فحينئذ تبادر الى

ان تملكها وتلجمها فتامن من شرها فان قلت فبين لنا الآن ما التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا ان

ان التقوى كنز عزيز فان ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير

كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا

والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى

وتامل ما في القران من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب

ذكر اضاف اليها من سعادة وانا احدلك من جملها اوليها المدحة والثناء قوله
تع وجل وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ
والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا
والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
والرابع النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس غفران الذنوب
قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين
والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاكرام والاعزاز
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والحادي
عشر النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى والثاني عشر الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت
للمتقين فهذه اكل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى
فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يحقق به هذا الشان من امر
العبادة ثلاثة اصول احدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين
كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام

اولا

والرزق

قولا

النقصير وهو للمستقبل كما قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول
العمل وهو للمستقبل قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه
الامور الثلاثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح التقصير حتى يتم ثم القبول اذا
تم وهذه الثلاثة هي التي تتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسالونه ويقولون ربنا وفقنا
لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى واكرم
بها التقوى سال ولم يسال فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله تعالى بل ان اردت
سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل من اتق الله فذلك الذي
سيق اليه المتجر الرابح وقال الاخر من عرف الله فلم تغنه معرفة
فذاك الشقي ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي وكتب بعضهم
على بعض القبور ليس زاد سوى التقى فخذ الزاد او دع ثم تامل اصلا واحدا وهو
انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل
لك ما تمنيت الشان كله في القبول وقد علمت ان الله سبحانه وتعالى يقول
انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت ما اعجب الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا
ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة رضي الله تعالى عنه انه قال
مكتوب في التوراة يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت
وبلغني عن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان ايضا

التول

يا مأوى

كل يوم وليلة ألف ركعة ثم يأوي إلى فراشه ويقول يا مأوى كل شر والله
ما رضيتك لله تعالى طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين
ثم تأمل نكتة أخرى هي الأصل وهي ما ذكر أن بعض الصالحين قال لبعض إخوانه
أوصني بوصية قال أوصيك بوصية الله تعالى رب العالمين الأولين والآخرين قوله
تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله فلست أنا أليس
الله سبحانه أعلم بصلاح العبد من كل واحد والنصح له وأرحم وأرأف من
كل واحد ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم وأجل في العبودية
وأعظم في القدر وأولى بالحال وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى
لكان الله تعالى أمر بها عباده وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما
أوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك
واقتصر عليها فعلمت أنها الغاية القصوى التي لا يتجاوز عنها ولا مقصد دونها
وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتهذيب
في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت أن هذه الخصلة
التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات
المبلغة إلى أعلى الدرجات في العبودية وقد أحسن من قال شعر
ألا إنما التقوى هي العز والكرم، وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبد تقي نقيصة، إذا صحح التقوى وإن حاك

أصل

تنبيه

او حجم فهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى وحمل ذلك
واستغنى والله ولي التوفيق بمنه وكرمه فان قلت لقد عظم قدر هذه
الخصلة ووجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا بد الآن من تفصيلها
فاعلم ان الامر كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة
الى حلها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في الطلب الى طلب كثير وتعب
كبير وشان عظيم وهمة عالية وجهد شديد فاذن لما ان هذه الخصلة خصلة
عظيمة كبيرة فالجاهد في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها اضا
لعمل كبير وشان عظيم فان المكارم على حسب المكاره وان الذات على
المؤنات والله عز وجل يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله
لمع المحسنين وان الله هو الرؤف الرحيم الذي بيده تيسر كل عسير فاستمع
وتنبه وتفهم لبيان حد هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن
بالله تعالى حتى تعمل بما تعلم فان الشان كله في ذلك والله جل جلاله ولي
التوفيق والهداية والعصمة بفضله فنقول اعلم اولا ان التقوى في شيخنا
رحمه الله عليهم هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق الآن عنك مثله حتى يحصل
لك قال شيخنا وذلك ان اصل لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو
وهو مصدر بالواو كالوقاية تقول وقى يقي وقاية ووقوى
فابدلت على الواو تاء كما في التكلان والتقلان ونحوهما فقيل

قول

تقوى فاذا لم حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة العزم على تركها وتوطين
قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التنزيه والعزم و
ويقال التقوى في القرآن يطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة
قال الله تعالى واياي فاتقون وقال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني
بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اطيعوا الله حق طاعته قال مجاهد وهو ان يطاع فلا يعصى
وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب
فهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله عز وجل يقول
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة
والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى شيء سوى الطاعة والخشية
وهي تنزيه القلب عما ذكرناه ثم قالوا منازل التقوى ثلاثة تقوى
عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها
الله سبحانه وتعالى في اية واحدة وهو قوله جل ذكره ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى
الاولى تقوى القلب عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد
والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار اهل
السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية والاقرار في

تنزيه

اما

ثانية

في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهي الطاعة والاستقامة عليها فيكون
منزلة مستقبح الطاعة فالآية جمعت ذكر المنازل الثلاثة منزلة الايمان
منزلة الكشف ومنزلة الاستقامة الطاعة فهذا ما قال علماؤنا في بيان معنى التقوى
قلت انا وجدت التقوى بمعنى الاحتياط في فضول الحلال وهو ما ورد في الخبر المشهور
عن النبي المصطفى المحبور صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي التقوى متقين
لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس فاجبت انا اجمع بين ما قال علماؤنا
وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومنعا بالغا
فاقول وبالله التوفيق التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك
الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره
في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر
في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال
بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك
لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان يأمن الضرر
في امر دينه اجتنب الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذرا ان
يجره الى محض الحرام على ما قال صلى الله عليه وسلم لتركهم ما لا بأس به حذرا
عما به بأس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا من الوقوع في الحرام
فالتقوى الجامع البالغ اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين

ضرر

والمعصية والفضول حد الفضيلة واما اذا اردنا تحديدها على موضوع الشرع علم
الشر فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق منك مثله بقوة العزم على
تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشر ضربان شر اصلي وهو ما نهي
عنه كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة
بالشهوات فالاولى تقوى فرض يلزم بتركه عذاب النار والثاني تقوى خير وادب يلزم
بتركه الحبس والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الاولى من التقوى وذلك
منزلة المستقيم في الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة العليا من التقوى وذلك
ترك المباح فاذا جمع العبد بينهما اعني اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل
معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك
امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله تعالى فهذا معنى التقوى وبيانه
في الجملة فافهم موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت فصف لنا الآن حد المعنى
في النفس واستعمالها فيها فان الحاجة ماسة الى ذلك لنعلم كيف نلجم
هذه النفس بهذا المعنى الذي وصفت حقيقة التقوى اجل انما نصف لك في
هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية
عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى
في عينيك واذنيك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع
اركانك والجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح يطول

[منزلة]
[فيها]
[فأقول]

الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن

الله في كتاب احياء العلوم واما الذي لا بد منه منها ان تعلم ان من اراد ان
يتبع الله عز وجل فليراع الاعضاء كلها فانه يتخصص علمها بالصيانة لها
عن كل ما يخاف منه ضررا في امر الدين من معصية وحرام وفضول او امر من
حلال واذا احصل صيانة هذه الاعضاء فنرجو ان يكون لك شيئا ادركنا
ويكون قد اقام بالتقوى الجامعة لجميع ما يريده الله تعالى فدعت الحاجة الى بيان
جمل فصول لهذه الاعضاء ونفصل ما يحرم في حق كل واحد منها على قدر

الفصل الاول في العين

ما يليق بهذا الكتاب فعليك وفقك الله تعالى وايانا بحفظ العين
فانها سبب كل آفة وفتنة واذكر فيه ما تدركه لصول لكافيه الاصل الاول
ما قال الله سبحانه وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون فاعلم انك اذا تاملت هذه الاية فاذا فيها
مع قصرها ثلثة معاني عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فلا بد للعبد من امتثال امر السيد والتادب
بادبه والا فيكون سيء الادب فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة
فافهم هذه وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها واما التنبيه فقوله عز وجل ذلك ازكى
لهم ويطلق على معنيين والله اعلم الاول ذلك اطهر لهم والزكوة الطهارة
والتزكية التطهير والثاني ذلك انما لخيرهم والكثير لان الزكوة في النمو
وتنبيه على ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك

المثول بين يدي السلطان

اطهر لقلوبهم

العمل

انك اذا لم تغض بصرك وارخيت عنانه نظرت الى ما لا يعنيك فلا يخلو اما ان يقع بصرك على حرام فان تعمدت فذنب وكبيرة وربما يتعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله عز وجل فلقد روي ان العبد لينظر نظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم فلا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك وتجاذبك الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وانك لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام اياكم والنظر فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بصاحبها فتنة وقال ذو النون رحمه الله تعالى نعم حاجب الشهوات غض الابصار ولقد قال القايل شعر

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

فاذن لما كنت غاض البصر حافظ العين ولا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوساوس سالما عن الافات ميسرا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل هو الموفق بمنه وكرمه واما التهديد فقوله تعالى ان الله خبير بما يعملون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف ربه فهذا اصل واحد من كتاب الله سبحانه والاصل الثاني ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان النظر الى محاسن المراة سهم مسموم من سهام ابليس عليه اللعنة فمن تركها اذاقه صنع عبادة تسره وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين

ينغل
تباه شدن

ممكن وهذا شيء يجب علمه وتحققه والعمل به لانه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه
يجد لذة للعبادة وحلاوة والقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك الاصل الثالث ان
ينظر الى كل عضو من اعضائك يصلح لماذا ومنتظر له ماذا فافعل بحسب ذلك تقويته
وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب وتناول الثمار
وكذلك في ساير الاعضاء فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه لا اله
الا هو وليس في الدارين كرامة اجل واكبر من ذلك فحقيق لشيء ينظر به ويرجى له
مثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلاثة

يصان

اذا احكمت التامل فيها كفتك المؤنة في هذا الفصل والله ولي التوفيق
الفصل الثاني في الاذن فعليك صيانة سمعك عن اصغاء الفضول وذلك
لامرين احدهما ما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك يقول القائل
شعر تحرّ من الطرق اوساطها وعدّ عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه والثاني ان ذلك
يهيج الخواطر والوساوس في القلب ثم ذلك يتعدى الى الاشتغال بالبدن
مانع للعبادة ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في القلب الانسان
ويسمعه بمنزلة الطعام الذي في القلب الانسان وكذلك بمنزلة الطعام
الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم

بل ان بقاء الكلام وتجرحه اكثر وابلغ فان الطعام يزول عنه بعده بنوم وخروج
وربما يبقى اثره زمانا ثم يزول وله دواء يزيل اثره عن جسم الانسان واما
الكلام الذي وقع في قلب الانسان ربما يبقى معه جميع عمره ولا ينساه
فان كان شيئا رديّا فلا يزال يتعب ويغتم ويرد بسببه خواطر في القلب وربما يكون
يحتاج ان يعرض عنها ويعدل بالقلب عن تذكرها ويستعيذ بالله تعالى عن
شرها والا فلا بد ان يحمل على بلية ويحكم حتى يقع اخر الكلام في امر عظيم
بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه الامور
مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق

الفصل الثالث

ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وتقييده فانه اشد الاعضاء جماحا
وطغيانا واكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان بن
عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي واخذ رسول
واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ثم قال هذا وعن
يونس بن عبيد رحمه الله تعالى قال اني وجدت نفسي تحتمل صوم اليوم
في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا اعنيها اذا — يعنيها صح
بالتحفظ جدا جدا وبذل المجهود وتذكر اصول

الاصل الاول

روى ابو سعيد الخدري رحمه الله تعالى ان ابن ادم اذا اصبح
كفرت الاعضاء كلها الى اللسان وقلن نشدك الله

تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قلت وفيه
والله اعلم ان نطق اللسان يوثر في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان
ويوكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه انه قال اذا رايت قساوة
في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك
الاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعلى الاقل
يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة فقال متى بنيت
فقال مذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس المغرورة تسالين عما
لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح الغافلين
الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان فلقد احسن القايل

ه واذا هممت بالخوض في الباطل ،، فاجعل مكانه تسبيحا ،، واختم
ركعتين من طاعة اللبيب ،، اذا كنت فارغا مستريحا ولزوم السكوت خير من النطق ،،
وان كنت في الكلام فصيحا ،، **الاصل الثالث** حفظ الاعمال الصالحة
فان من لم يضبط لسانه واكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل
من كثر كلامه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل
ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا
وغربا يمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه قال له قايل يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني انك اهديت الي

حسناتك فاحببت ان الا فيك وذكرت الغيبة عند ابن المبارك رحمه الله تعالى فقال لو كنت
مغتابا لاغتبت احدي لانها احق بحسناتي وذكر انه فات حاتما الاصم ليلة القيام
فعزته زوجته فقال ان اقواما صلوا بالليلة البارحة فلما اصبحوا نالوا عرضي فكم
صلوتهم يوم القيمة في ميزاني **الاصل الرابع** السلامة وآفات الدنيا على
ما قال سفين رحمه الله تعالى لا تتكلم بلسانك ما يكسر سنانك وقال الاخر لا تطلق
لسانك فيفسد عليك شانك وقيل س احفظ لسانك لا تقول فتبتلى
ان البلاء موكل بالمنطق ولابن المبارك س احفظ لسانك ان اللسان
سريع الى المرء في قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله
ولابن مطيع رحمه الله س لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه اغار
فصنه عن ملجام صمت يكن لك من بليات ستاره وفي المثل السائر
رب كلمة تقول لصاحبها دعني **الاصل الخامس** ذكر آفات الآخرة وعاقبتها
واذكر فيه نكتة واحدة وهو انه لا يخلو اما انك تقول قولا محظورا
حراما او قولا مباحا او فضولا لا يعنيك فان كان انه قال ليلة
الاسرى نظرت في النار فرأيت قوما ياكلون الجيف فقلت يا جبرئيل
من هؤلاء قال هؤلاء هم الذين ياكلون لحوم الناس ولقد
قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله تعالى عنه اطبق لسانك عن حملة القرآن
وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن

هو

١

ابي قلابة ان في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسال الله تعالى العصمة من ذلك

بفضله من الكلام في المحظور اما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام

الكاتبين بما لا خير فيه ولا فايده وحق المرء ان يستحي منهما ولا يوذيهما

والله سبحانه وتعالى يقول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثاني ارسال الكتاب

الى الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى وذكر

ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك

فانظر ماذا تملي والثالث قراءته يوم القيمة بين يدي الملك الجبار على رؤس الاشهاد

بين الشدة والاهوال عطشان عريان جوعان منقطعا عن الجنة

محبوسا عن النعيم والرابع اللوم والتعيير لماذا قلت والقطع بالحجة

والحياء من رب العزة وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وتلقى

بهذه الاصول واحفظ لمن توعظ وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملة

الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفا الفصل الرابع والثلثون ثم عليك بحفظ

القلب واصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه احوج

هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا

واذكر فيه خمس اصول مقنعة الاصل الاول قوله تبارك وتعالى يعلم

خاينة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى انه عليم بذات

الصدور كم ذكره وكرر ذكره في القران وكفى باطلاعه العليم

الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد ان المعاملة مع علام الغيوب
خطر خطر فانظر ماذا يعلم من قلبك **الاصل الثاني** قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم واعمالكم فالقلب اذن موضع نظر رب العالمين جل جلاله
وعم نواله فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار
والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم
بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه لئلا يطلع
الرب جل ذكره على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضايح
واقذار وقبايح لو اطلع على واحد منها لهجروه وتبرءوا منه وطردوه
والله المستعان **الاصل الثالث** ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء
كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقام
الرعية يبين ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه **الاصل الثالث**
الرابع ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها
العقل واجلها معرفة الله سبحانه التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصاير
التي بها التقدم والوجاهة عند الله جل ذكره ثم النية الخالصة

١

في الطاعات التي تعلق بها ثواب الابد ثم الواح العلوم والحكم التي
هي شرف العبد وساير الاخلاق الزكية والخصال الحميدة التي بها
تكاملت الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين
حق لمن هذه الخزانة ان يحفظ ويصان عن الادناس والافات
ويحرس ويحرز عن السراق والقطاع ويكرم ويتجنب بضروب الكرامات
لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يطمع العدو بالدخول
الاصل الخامس اني تاملت حالة فوجدت له خمس اصول لكيفية تحصين الخزائن
يعني ادم احدها ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان
الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو بمنزلة الهائم يقع عليه ابدا
بالدخول بين الملك والشيطان والثاني ان الشغل له اكثر فان العقل
والهوى كلاهما فيه وهو معترك العسكرين الهوى وجنوده
والعقل وجنوده فهو ابدا بين محاربتهما ولقائهما وتناهضهما
وحق للثغر ان يحرس ويحصن ولا يغفل والثالث ان العوارض له
اكثر فان الخواطر له كالسهام لا تزال تقع فيه وكالمطر لا تزال
تمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع فلا انت تقدر على منعها فتمنع
وليس بمنزلة العين التي هي بين جفنين يغمض فتستريح او تكون
في موضع خال او ليل مظلم فتكفي رويتها والل‍سان الذي

منعه

هو وراء الحجاب بين الاسباب والتقلب وانت القادر على تسكينه بل القلب
عرض الخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي تنقطع عنك فلا تقدر على
النفس ومنازعتها الى اتباعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة
عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك لا تكاد تشعر بتدبيره فيه
فتحتاج ان تبحث عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة ويحدث له
والخامس ان الافات اليه اسرع فهو بالانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع
انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه والراي
يعزب بالانسان اطوارا ثم ان تسليم القلب والعياذ بالله فيه اعظم ودونه
اصعب واقطع ادناه قسوة وميل الى غير الله سبحانه ومنتهاه ختم ونكرة
بالله تعالى اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر كان الكبر بقلبه فحمله على الاباء والكبر
بظاهره اما تسمع قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل والاخلاد
بقلبه فحمله على ذلك المشوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايضا الرجل
خاف عباد الله تعالى الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال
سبحانه في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله
واياكم من المعتبرين بما يعتبر به المعتبرون واوقع النظر موفقين لاصلاحها
بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان قيل افي هذه القلب لهم جدا

هو

فاخترنا من المعاني التي تصلحه عن الآفات التي تعرضه فتفسده عما اي
تؤدي لا احتمال في العمل بذلك لغالب اهل العلم الى اعوضت هذه المعاني
طويلة لا يحتمله هذا الكتاب وانما علماء الآخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيف
في هذه الكتابة لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحو سبعين خصلة
محمودة واضدادها المذمومة ثم من الاقوال والمساعي الواجبة والمحظورة
نحو ذلك في سائر [illegible] ولعمري ان فهم امر دينه واتبعه غير قدوة الغافلين فلعل
نظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرا اذا وفقه
الله سبحانه وتعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجائب القلب في كتاب احياء
علوم الدين واتينا على شرح جميعها بتفاصيلها وكيفية علاجها في
كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة
ولا ينتفع به الا فحول العلماء الراسخين في علم الآخرة وموضوع
هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي والمنتهي والقوي والضعيف فنظرنا
فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج والحاجة اليها
ماسة ولا غنية عنها البتة في شأن العبادة فوجدناها اربعة
امور هي مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهي على
القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين فتفسد وتتلف
واربعة من مقابلتها فبها قوام العبد وانتظام العبادة وصلاح

القلب

القلوب فالافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر
قصر الامل والتانى فى الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هى الاصول
فى صلاح القلوب وفسادها والنكتة التى عليها المدار فليبذل الجهد فى التحرز
من هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب ليكفى المؤن ويظفر بالمقصود انشاء الله
تعالى اما طول الامل فانه العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة فانه الداء
العضال الذى يوقع الخلق فى انواع البليات واعلم انك اذا اطلت
الامل هاج لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها
تقول سوف افعل والايام بين يدى ولا يفوتنى ذلك ولقد صدق داود
الطائى رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد قرب البعيد ومن طال امله ساء
عمله وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى الامل قاطع عن كل خير والطمع
مانع عن كل حق والصبر صابر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثانى
ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب فى الايام سعة وانا شاب
وسنى قليل والتوبة بين يدى وانا قادر عليها متى ما رمتها فاذا
وجوه يحرك الامل وربما اختطفه الحمام على الاصرار واختطف الاجل
قبل اصلاح العمل والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا
عن الاخرة تقول اخاف الفقر فى الكبر وربما اضعف عن الاكتساب
ولا بد لى من شى فاضل ادخره لمرض او هرم او فقر هذا

ونحوه يحرّك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام بالرزق تقول ايش آكل واي
شيء البس هذا الشتاء وهذا الصيف وما لي من مال ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب
شديدة ولابد من قوت وغنية عن الناس فهذه واشباهها تحركك الى طلب الدنيا والرغبة
فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها وافتح الباب ان لم تفعل فلكيات ويضيع عليك وقتك
ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ما روي عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه
انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي
والرابع القسوة في القلب والنسيان للآخرة لانك اذا امّلت العيش الطويل
لا تذكر الموت والقبر كما قال علي كرم الله وجهه وبه صرحت ان اخوف ما اخاف عليكم
اثنان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى
يصد عن الحق فاذا لقصير ذكرك ومعظم فكرك في حديث الدنيا واسباب العيش وفي
صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو القلب من ذلك وان رقة القلب وصفوته بذكر الموت
والقبر والثواب والعقاب واحوال الآخرة واذا لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون
لقلبك رقة وصفوة قال الله عز وجل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
فانك اذا طال املك قلّت طاعتك وتأخرت وتأخرت توبتك وكثرت
معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك وساءت العاقبة فقد مست
والعياذ بالله ان لم يرحمه الله تعالى اخوتك فاي حال اسوء من هذه واي
آفة اعظم من هذه وكل هذا من طول الامل وانما ان قصر [illegible]

العاقل في
ناگاه گرفتن

من نفسك موتك وتذكر حال اقرانك واخوانك الذين خاضهم الموت في وقت لم يحتسبوه
ولعلك حالك مثل حالهم وقلت لنفسك احذري يا نفس الغرور واذكري ما قال
عون بن عبد الله رحمه الله كم من مستقبل يوما لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه
لو رأيتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول عيسى عليه السلام
الدنيا ثلاثة ايام امس مضى ما بيدك شيء منه وغد لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت
فيه فاغتنمه ثم قول ابي ذر رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة
انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة
اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول يحيى رحمه الله تعالى الدنيا ثلاثة انفاس نفس مضى
عملت فيه ما عملت ونفس انت فيه ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم متنفس نفسا
فاجأه الموت قبل النفس الآخر فلست تملك الا نفسا واحدا الا يوما ولا ساعة
فبادر في هذا النفس الواحد الى طاعة الله تعالى قبل ان يفوت وعسى ولعلك لا تبقى
فتحتاج اليه فيكون قد ضيعتها والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق
ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحدة اما تذكر ما قال النبي صلى
الله عليه لاصحابه اما تعجبون من اسامة المشتري بنصيبه شهر الى شهر ان اسامة
لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمت
لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده ان
ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكر

نعلل

يهتم

هذه الاذكار و واظبت عليها بالاعادة والتكرار يقصر املك باذن الله تعالى فتجد بين
نفسك تبادر الى الطاعات وتتجدد توبتك فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فتخف
حسابك وتنعتك ويقع قلبك في تذكرة الآخرة واهوالها وما هو الا نفس
نفس تصبر اليها وتعانيها واحدا فواحدا فتزول عنك القسوة وتبدلك الرقة
والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله عز وجل وتحسن فتستقيم لك امر دينك
ويقوى الرجاء في ان تسعد في عاقبتك وتظفر بالمراد في اخرتك وكل ذلك بعد فضل
الله تعالى بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان زرارة بن اوفى رحمه الله رؤي
في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل
فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الاهم
الاعظم في صلاح القلب والنفس والله تعالى ولي التوفيق بفضله ورحمته واما الحسد
فانه مضعف للطاعات الباعث على الخطيئات وانه الداء الذي
ابتلي به الكثير من القراء والعلماء فضلا عن العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم
النار اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار لستة
العرب بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
واهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالحسد ان بلية بلغ شيوعها الى ان
اورث العلماء للنار لحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد
يحبط حسنات الطاعات احدها افسد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشماتة
شادي كردن
دا كرو حدار و شمرر سيد

الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والثاني فقد صح والثالث ورد عليها ما قال وهب رحمه الله تعالى
للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة قلت ويكفيه
ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد اذا حسد كما امرنا بالاستعاذة
من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان
والساحر حتى ان لا استعان عليه ولا استعاذ الا بالله رب العالمين والثالث
التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن المبارك
لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحسد الحاسد دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع
عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام الله تعالى فلقد قال سفيان رحمه الله تعالى عليك
بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا
تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان
فلا يكاد يظفر بالمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الضغين غير ذي دين والعائب غير عابد
والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت للحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال
نعم الله تعالى عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنين ولقد
احسن ابو يعقوب فقال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم
وانه داء يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك ويسلبك راحة
النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء
يكون اردى من ذلك فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولي التوفيق

فقال سبحانه ومن شر حاسد اذا حسد

النفس

و اما الا

50

واما الاستعجال والنزق فانه الخصلة المفوية للمقاصد والموقعة في المعاطب وان منها بد وكافات اربع احدها ان يقصد العابد منزلة في الخير او الاستقامة فيجتهد فربما يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يعجز وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر المستعجل يضل والقايل يقول

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون من المستعجل الزلل

والثاني ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجد فيفتر وييأس ويترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالث ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلما بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك ومقت الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابع ان اصل العبادة وملاكها الورع والورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور غير متأن متثبت متبين مهما لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب ويبادر الى كل كلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في امره فيفوته الورع ولا خير في عبادة بلا ورع واذا كان في هذه الخصلة

الا انقطع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوق
الورع الذي هو راس الامر فحق للانسان ان يهتم لها بالازالة واصلاح
النفس بعدها والله ولي التوفيق بمنه واما الكبر فانه الخصلة المهلكة ربما
تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين فلبئست هذه الخصلة من بين سائر
الخصال التي تقدح في عمل وتفرح بفرح وانما تضر بالاصل وتقدح
في الدين والايمان فاذا فوتت وخليت لا تتدارك والعياذ بالله جل جلاله
ثم اقل ما يفوت منها على صاحبها اربع افات احدها حرمان الحق وعمى القلب
عن معرفة ايات الله عز وجل وفهم احكامه سبحانه قال الله تعالى ساصرف عن اياتي
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار والثانية البغض من الله عز وجل كما قال تعالى انه لا يحب
المتكبرين وروي عن موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك عليك
الكبير قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفقت عينه وبخلت يده وساء خلقه
والثالثة الخزي والنكال في الدنيا والاخرة قال حاتم رحمه الله تعالى
احبت الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه
الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل اهله وخدامه والحريص
لا يخرجه الله من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا
والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل

المقت

من تكبر بغير حق اوريه الله تعالى ذلا لحقه بقول الكبرياء رداء والرابعة النار
والعذاب في العقبى على ما روي ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني في احد منهما ادخلته نار جهنم ومعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات
التي تختص بي فلا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به
لا يشاركه احد فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وهم ايات الله عز وجل
واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم يثمر لك المقت من الله عز وجل والخزي في
الدنيا والنار في الاخرة لا يسع لعاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه فلا يصلحها بالتنبه
والحذر والتحرز والاستعاذة بالله عز وجل من ذلك فهو عز وجل ولي التوفيق
والعصمة منه فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات وجب العاقل
احدة منها فضلا عن الكل اذا اهم امر قلبه فحامى على امر دينه والله الموفق فان
قيل فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزوم التحفظ
منها لابد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك كيف الطريق الى التحفظ عنها
قيل ان السلام الذي كل واحدة وكلاما كثيرا وقد اشبعنا القول في كتاب
[illegible] والاسرار ونحن نذكرها هنا ما لابد من ذكره ولا يقع الوحشة في
الاصول فنقول بالله التوفيق **الاصل الاول** في الامل قال اكثر علمائنا
رحمه الله تعالى انه ارادة الحيوة للوقت هو تراخي بالحكم وقصر الامل
الحكم فيه بان يقيده بالاستثناء بمشية الله وعلمه في الذكر

۲۸
للتوقف ۱۲

او بشرط الصلاح في الارادة فاما ان ذكرت حيوتك باني اعيش بعد نفس ثان او
ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانك امل وذلك منك معصية اذ
هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم الله سبحانه وتعالى فتقول اعيش
ان شاء الله تعالى او ان علم الله اني اعيش فقد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان
اردت حيوتك للوقت الثاني قطعا فانت امل وان قيدت ارادتك بشرط
الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم
فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب
ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب عليه فافهم رشدك الله
تعالى ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان يريد الحيوة
والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها فهذه معصية محضة وضدها قصر الامل ولذلك قال الله
عز وجل ويلههم الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء
لعمل خير ففيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون خيره في ان
لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع لشيبة في افة لا يقوم بها
خير فاذن ليس للعبد اذا ابتدا في صلواة او صوم او غيره
ان يحكم انه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون
له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء وبشرط الصلاح فيخلص
من عيب الامل قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن

هو المعز

52

اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضده هذا الامل فما قال العلماء النية المحموده وانما
قالوا ذلك ضرب من الاستحسان لان التأني بالنية المحموده تكون ممتنعا من الاصل
فهذا حكم الاصل فالنية المحموده اذ قد مست الحاجة اليها والى معرفتها مع انها الاصل
الاصل الاصيل قالوا في احدها التي يجب ان النية الصحيحة المحموده اراده لحد
حال مبتدا به قبل ساير الاعمال بالحكم مع اراده اتمامه بالتفويض والاستثناء
فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء اذ وجب التفويض والاستثناء في الاتمام
له قيل له لفقد الخطر في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس فيه متراخيا حتى يثبت
الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطر ان خطر الوصول لا يدري هل
يصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذن وجب
الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الاراده على هذه
هذه الشروط تكون حينئذ نية محموده مخرجة عن هذه الامل واقعة في محلها فهذا
واعلم ان حسن قصر الامل ذكر الموت وحسن حسنه ذكر فجاة الموت واخذه
على غره وغفلة وهو في غرور وفتور فاحفظ هذه الجملة وحصلها موفقا
فان الحاجة ماسة اليها ودع عنك تضيع الاوقات في القيل والقال وملاحات
الرجال والله ولي التوفيق بفضله ذكر الاصل الثاني الحسد فهو اراده زوال

نعم الله تعالى عن اخيك المسلم فيما له فيه صلاح فان
لم تردف والها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو
غبطه وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام لاحسد الا
في اثنتين اي لاغبطه الا في ذلك فعبر عن الغبطه با
لحسد اتساعا في ذلك لمقاربتهما فان لم يكن صلاح
واردت زوالها عنه فذلك غيره فهذه الفرق
بين هذه الخصال واما ضد الحسد والنصيحه وهي
ارادة بقاء نعمة الله تعالى على اخيك المسلم مما له فيه
صلاح فان قيل كيف تعلم ان له فيه صلاحا او فسادا
لنصيحه او بحسد قيل فاعلم انه فقد يكون لنا غالب الظن
بذلك وعليه الظن منا يجري مجرى العلم في
هذه المواضع ثم ان شتبه عليك فلا تريدن والنعمة
لمسلم من المسلمين وبقاءها الا مقيد بالتفويض و
شرح الصلاح التخلص من حكم الحسد ويحصل لك
فايدة النصيحة واما حصن النصيحة المانع من الحسد

اشتبه

فهو ذكر ما اوجب الله تعالى من مواساة المسلمين وحسن جوار الحصن وذكر ما اوجب عظم الله تعالى من حق المؤمن
ورفع قدره وما له عند الله تعالى من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة
في الدنيا من التعارف والتظاهر والتحابات والجمعيات ثم ما ترجو من شفاعته في الآخرة
فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم فتجتنب الحسد في نعم اعطاها الله
جل جلاله عبده المسلم والله سبحانه ولي التوفيق الاصل الثالث في العجلة واما العجلة
فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون
التوقف فيه والاطلاع عليه والاستطلاع منه بسبب الاستعجال بابتدائه والعمل به
وضدها الاناءة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في
الامور والنظر فيها والتأني في ابتدائها والعمل بها الاصل الرابع في التوقف واما التوقف
فهذه التعريف فان شيخنا رحمه الله تعالى الفرق بين التوقف والتأني ان التوقف
قبل الدخول في الامر حتى يستبين له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى
تؤدي لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناءة ذكر وجوه الخطر في الامور
التي تعرض الانسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في النظر
والتثبت من السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة واهلاك مدة
وامثالها مما يبعث على التأني والتوقف في الامور ويمنع من الاستعجال

[illegible] الشتابی کردن

الاناءة درنگ کردن

والتعفف والله ولي التوفيق والعصمة برحمته

الاصل الخامس

في الكبر واما الكبر فاعلم انه خاطر في
رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والتواضع خاطر في وضع النفس والتواضع
اتباعه ولكل واحد منهما عام وخاص فالتواضع العام هو الاكتفاء بالدون من
الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاص هو تمرين النفس
على قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وانه معصية
كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العام ان تذكر مبداك ومنتهاك وما انت
في تحمله من ضروب الافات والاقذار كما قال بعضهم اولك نطفة
مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل عذرة وحصن التواضع
الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية ان شاء الله
كافية ان شاء الله والله ولي التوفيق والعصمة بمنه وحفظه

الاصل السادس

في البطن

ثم عليك بحفظ
البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة
وشغلا واعظمها ضررا وشرا لانه المنبع والمعدن ومنه تهيج الامور في الاعضاء
من قوة وضعف وعفة وجماح ونحوه فعليك اولا بصيانته عن الحرام والشبهة
ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله فاما
فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك التحفظ عنه لثلثة امور احدها حذره

من جهنم قال الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من السحت فالنار اولى به
والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة
الله تعالى الا كل طاهر مطهر قلت اما ترى الى الله تعالى قد منع الجنب عن الدخول
في بيته والمحدث عن مس كتابه فقال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث
امر مباح فكيف من هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة متى
يدعى الى خدمة الله العزيز وذكره الشريف سبحانه كلا فلا يكون ذلك قال
يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى الطاعة مخزونة في خزاين الله تعالى ومفتاحها
الدعاء واسنانه الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان لا ينفتح الباب
واذا لم ينفتح باب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث
ان اكل الحرام والشبهة محروم عن كل فعل الخير فان اتفق
له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون
من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال عليه الصلوة والسلام

الكد شدة
الالحاح في الطلب ١٢

محروم الحرام ٢

كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لا يقبل الله تعالى صلواة امرئ في جوفه حرام فهذه هذه واما فضول
الحلال فانه آفة العبادة وبلية اهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر آفات
من اصل في هذا الشان الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب
فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك
بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تغلي تحت القلب والبخار يرتفع
اليه وكثرة البخار تكدره وتسوده الثانية ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجها
وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعان بطرا اشتهت
عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان
التكلم والفرج الشهوة والمشي اليه واذا كان جائعا فتكون الاعضاء كلها
ساكنة هادية لا تطمح الى شيء من هذا ولا تنشط له ولقد قال الاستاذ
ابو جعفر رحمه الله تعالى البطن عضو ان جاع هو شبع سائر الاعضاء يعني
سكن فلا تطالبك بشيء وان شبع هو جاع سائر الاعضاء

في جسمه الامران قوام الرجل وقوامه على حسب طعامه وشرابه ان دخل
الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال
والافعال نبت منه ومنه الثاني ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب
الفطنة ولقد صدق الداراني حيث قال اذا اردت حاجة من
حوائج الدنيا والآخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل ثم تقديره
وغلبته عيناه وفترت اعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم
كالجيفة الملقاة ولقد قال اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا
صلوات الله عليهما ان ابليس عليه اللعنة تبدى له وعليه معاليق فقال يحيى عليه السلام
ما هذه فقال هذه الشهوات التي اصيد بهن ابن ادم قال يحيى فهل تجد لي
فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة فقال يحيى
عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا فقال ابليس لا جرم اني لا انصح
بعدها احدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة فكيف بمن لا يجوع
في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها
الخلوة وآلاتها المجاعة الثالث ان في كثرة الاكل فقد حلاوة
العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ما شبعت منذ

الفطنة والفطانة زيركى
الفطن خردمند

ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت
اشتياقا الى لقاء ربي فبذلك صفت المكاشفة وكان ابو بكر رضي
الله تعالى عنه مكاشفا واليه اشار عليه السلام بقوله ما فضلكم ابو بكر
بفضل صوم وصلواته وانما هو لشيء وقر في صدره قال الداراني
اجلى ما يكون العبادة اذا التزق بطنه بظهره السادس ان فيه
خطر الوقوع في الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام
ياتيك جزفا جزفا السابع ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا
وبتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بفراغه والتخلص عنه رابعا الثامن السلامة
بان تجد ومنه افة في البدن من الافات والعلل ولقد قال عليه
السلام اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم
يعني الجوع والحمية وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى انه كان يقول
يا مولاي لقد اشتقت الى الجلاد حتى التحيت لا بد في هذه الحياة
الدنيا والطمع اسباب الذكر وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل
ما لا يحتاج الله منه ما يناله من امور الاخرة وشدة سكرات الموت

وقيا

اصل

اذ روي في الاخبار ان شدة سكرة الموت على قدر لذات الحياة فمن اكثر
من هذه كثرت له من ذلك والثانية نقصان الثواب في العقبى قال عز وجل اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص لك
من لذات العقبى ولهذا المعنى ان الله عز وجل لما عرض الدنيا على نبينا صلى
الله عليه وسلم قال له ولا ننقص من آخرتك شيئا خصصته بذلك فدل على ان الغير ينقص
الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بذلك ولقد روي ان خالد بن الوليد اضاف
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهيأ له طعاما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء
المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين
قال عمر رضي الله تعالى عنه لئن صاروا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد
باينونا بونا مبينا وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه عطش يوما فدعا بماء
فاعطاه رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر رضي الله تعالى
عنه من فيه وجد الماء باردا حلوا فامسك وقال او فقال الرجل والله
ما الوته حلاوة يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله تعالى عنه ذلك الذي
منعني منه ويحك لولا الآخرة لشاركناكم في عيشكم العشرة الحبس
الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول الطلب

الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فهذه
جملة العشرة وفي واحد منها كفاية لمن نظر في نفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ
في القوت كيلا تقع في حرام او شبهة فتدرك العذاب ثم بالاقتصار من الحلال
على ما يكون عدة على عبادة الله تعالى لئلا تقع في شر وتبقى في حشر في الحبس والحساب
والله ولي التوفيق والعصمة فان قلت فبين اولا حكم الحرام والشبهة وحدهما
فاقول لعمر الله لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات الدين وذكرناه
في كتابا مفردا وكتب الاحياء لكن نشير في الكتاب مفردة بحيث تصل الى
فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب الذي ينتفع به المبتدي في العبادة
ويعين الطالب قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى ما تيقنت كونه ملكا للغير
منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن لك تعين بذلك ولكن تغلب
على ظنك انه كان كذلك فهو شبهة وقال الاخرون بل الحرام المحض ما يكون
ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن منزلة مجرى العلم في كثير
من الاحكام فاما اذا تساوت الامارتان حتى يبقى شاكا لا يعرف
لاحدهما ترجيح عندك فتلك شبهة لشبهة انه حلال ولشبه انه
حرام محض وحكم واجب محض الذي هو شبهة تقوى وورع فهذا

المحض

59

اولى القولين عندنا فان قيل فما القول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان
فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لم يتيقن انه حرام فله اخذه
وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال لان الاغلب في هذا العصر
على مال السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم او عزيز قال قوم ان
صلوات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة
على المعطي قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية
واستقرض من اليهود مع قول الله عز وجل اكالون للسحت قالوا وقد
ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم فمنهم ابو هريرة وابن
عباس وابن عمر وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وقال آخرون لا يحل
من اموالهم شيء لغني ولا فقير لانهم موسومون بالظلم والغالب على مالهم
السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال آخرون ما لم يتحقق
انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير انه عين
الغصب فليس له ان ياخذه الا ليرده على مالكه فلا حرج
على الفقير ان ياخذه الا ليرده على مالكه من اموال
السلطان لانها ان كانت من ملك السلطان فاعطى الفقير

جواز اخذ عطايا السلطان

هو

فله اخذه بلا ريب وان كانت من في اوخراج وعشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من دخل في الاسلام طايعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مايتا درهم وروي مايتا دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذان حقهما قالوا اذا كان المال مختلطا بمال مغصوب ولا يمكن تميزه او غصب لا يمكن رده على مالكه وذريته فلا مخلص للسلطان منه الا ان تصدق به وما كان الدنيا مرة بالصدقة على الفقير وبين الفقير على قبوله او ياذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن للفقير ان ياخذه الا من عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه المسايل لا يمكن الفتوى فيها الا بالبسط والتدقيق والاستيعاب والقول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجده مشروحا بينا ان شاء الله تعالى فان قيل فما القول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت

58

مجاز فيهم وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلوات الاخوان والجواب انه
اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج في قبول صلته وصدقته ولا يلزم
البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء الظن بذلك الرجل المسلم وحسن
الظن بالمسلمين مامور به ثم المسلم ما هو الاصل في هذا الباب وسمى منهما شيئين
احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان ياخذ ما اتاك
ممن ظاهره الصلاح ولا تسأل الا ان تتيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع
ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية البحث الاستقصاء
فتستيقن انه لا شبهة فيه والا فترده ولقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء تسالني عنه ولم تسألني
عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت قوما رقية الجاهلية فاعطوني هذا فتقيأ
ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال اللهم هذه مقدرتي فما بقي في العروق فانت حسيبه
فهذا يدلك على وجوب البحث كما تقدم على انه ان لك نظر في الورع
وحقه فهذه جنبة فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم
ان الشرع موضوع على التيسير والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط
كما قيل الامر على همته اضيق من عقد التسعين ثم الورع من الشرع الذي

وكلاهما في الاصابة واحد لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل
الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل والاحوط يقال له حكم الورع
فهما مع تميزهما واحد في الاصابة فافهم ذلك راشدا فان قلت فاذا كان
البحث والاستقصاء في كل شيء فيسد علينا ما ناخذه في هذا الزمان ولتعذر
الامر مرة على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ معاش يبلغه الى الطاعة
فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان
يوطن نفسه وقلبه على تحمل الشدة والا فلم يتم له ذلك ولهذا المعنى الكثير
من اهل الورع والسابقون الى جبال لبنان وغيره فاقتصروا
اكل الحشيش وثمرات ما فيه لا شبهة فيها فكان من سمت همته الى نيل
منزلة الورع الاعلى فعليه ان يتحمل الشدائد ويصبر عليها وليسلك
طريق اولئك لينال منزلتهم وان اقام بين الناس واكل ما يتداولونه
في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول
منها الا مقدار ما معه يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره لو كان
في اصله شبهة فان الله عز وجل اولى بقبول العذر ولهذا المعنى قال
الحسن البصري فسد السوق فعليكم بالقوة والقصد بلغني ان وهب بن الورد
رحمه الله تعالى انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلثة ثم ياخذ رغيفا ويقول

اني فاعل اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف والالم اكله
اللهم ان كان فيه شي من شبهة او حرام فلا تواخذني به ثم نبل الرغيف في الماء
فما كله قلت فهذان الطريقان اللطيفة العليا من اهل الورع فيما نعلم واما
من دونهم فلهم الحظ ويحاسب على مقدار ما لهم الحق ونصيب من الورع على مقدار
ما لهم الحق على مقدار وبقدر ما ينبغي ينال ما يتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن
عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال
وماخذ الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب واما المقدار الذي اذا اخذه
العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب يعاقب له
فاعلم ان احوال المباح في الجملة ثلاثة اقسام الاول ان ياخذه العبد
مفاخرا او مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب
على ظاهر فعله الحبس واللوم والتعيير وهو منكر وشر ويستوجب على باطن فعله وهو
التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله
عز وجل انما الحيواة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب
شديد وقول النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا
لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان فان وجد على عمده ذلك بقلبه والقسم

والتعيين

الثاني ان ياخذ الحلال بالشهوة لا غير فذلك مما يحجب عليه الحبس والحساب لقوله عز وجل
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقال عليه السلام حلالها حساب والقسم الثالث
ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله عز وجل
ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عتاب
بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله
سريع الحساب وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا
عن المسألة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيامة
جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لا يقصد به الا المقصود
والمحمود لله تعالى وتقدس فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح
حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرت انه يحتاج في كونه خيرا الى الافاضل الى
شرطين احدهما الحلال والثاني القصد فالحال يجب ان تكون حاله
ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل
يكون ذلك المباح ينقطع بسببه فان ترك مباح الدنيا فضيلة
فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر واما القصد فان يقصد
به العدة والاستعانة على العبادة لله تعالى متعمدا ان يذكر بقلبه

أفضل من تركه ١٢

انه لو كان من التوقف الى عبادة الله سبحانه لما اخذت ذلك فيه فهذا ذكر الحجة فلما حصل
ذكر الحجة في حال العذر صار ذلك من الدنيا الحلال خيرا وحسنة وادبا واما
لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا يكون
له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير
الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب تحتاج الى البصيرة في قصد
محكم بانه ما اخذ من الدنيا بحال الا للعدة لعبادة الله عز وجل حتى انه ان سها عن
ذكر الحجة في حال اجزاء ذلك القصد المحكم عن تجديد ذكر الحجة فان تخارجه الله تعالى
فصارت الامور الثلاثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران
في حصول كونه خيرا اصلا والقصد المحكم المعقود عن بصيرة منه لاجل الادب معتبر في
الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدا وبالله التوفيق فان قيل قال اخذ الدنيا
الحلال للشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل يلزمه عليه عذاب وبلاء في الاخذ
بالعذر فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميته خيرا وحسنة
والامر به امر تاديب والاخذ بالشهوة منهي عنه والنهي عنه نهي زجر وليس
ذلك معصية ولا يكون عليه عذاب الشاق وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير
فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب

ان يسأل العبد يوم القيمة عما اذا اكتسب وفيما اذا انفق وماذا ازددت
بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب وذلك في عرصة القيمة بين اهوالها
ومخاوفها عريان عطشان وكفى بذلك بلية فان قيل ماذا قد احل الله تعالى
لنا هذه الحلال فاللوم والتعيير لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لمن ترك الادب
كمن جلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير ويلام والاكل من الطعام له مباح
والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه
فحق للعبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه
فان لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك
من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار خدمة وعبادة لا دار
تنعم وشهوة استحق اللوم بذلك والتعيير من سيده فتامل هذا الاصل راشدا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح
النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جدا تظفر بالخير الكثير
في الدارين ان شاء الله عز وجل والله تعالى ولي التوفيق والعصمة بفضله

الفصل الاول منها: الاول في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس

فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة

فالحاصل اعظم العقبات شدة واكثرها مؤونة والكبر آفة وفتنة فان من هلك من الخلق
كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا
بكتابنا المصنف من كتاب الاسرار والاحياء والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك
ومقصود هذا الكتاب اني سالت الله تعالى عز وجل ان يطلعني على سر معالجة النفس
وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة الالفاظ محررة
المعاني تنفع من تاملها وتدعوه على واضحه من تاملها الطريق ان شاء الله تعالى ومن
الفضل يختص بك في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما الدنيا فيحق
لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من ثلثة اما انت من ذوي
البصيرة والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة لله تعالى وهو حبيبك وكيف
وان الدنيا بغيضة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوي الهمم في عبادة
الله تعالى والآخرة فحسبك ان الدنيا يبلغ من شغلها اما الى حد يمنعك او ادناها
تشغلك الفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما انت من اهل
الغفلة لا بصيرة لك بتبصير الحقايق ولا همة لك تبعث لك على المكارم
فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال
الحسن رحمه الله تعالى ان بقيت لك الدنيا لا تبقى لها فاي فايدة اذل في طلبها والفراق

[illegible]

العمر اعز من عليها ولعب احسن الغايات شعر هى الدنيا تنادى عليك عفوا
اللبس مصيره الى الزوال وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم اذن
بارتحال فلا ينبغى العاقل ان ينخدع لها ولقد صدق القائل
شعر اضغاث نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا ينخدع واما الشيطان
فحسبك فيه ما قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فمحمد اخير العالمين
اعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله تعالى وتقدس يحتاج مع ذلك الى ان يستعيذ
بالله من شر الشيطان فكيف بك مع ذلك جهلك ونقصك وغفلتك
واما الخلق فحسبك منهم انك لو خالطتهم ووافقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت
امر اخرتك وان خالفتهم تعبت باذنابهم وجفوتهم كدرت عليك
امر دنياك ثم لا تامن ان يلجؤك الى معاداتهم ومنابذتهم فتقع في شرهم
ولانهم ان مدحوك عظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك
حقروك اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى
اخرى وكلا الامرين آفة مهلكة ثم ذكر حال الكل منهم بعد ما صرت
في القبر ثلاثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك ولا يذكرون

ولا يكاد يذكرونك كأنك لم ترهم ولم تزرهم يوما ولا يبقى هنالك الا
الله سبحانه وتعالى وملائكته في العرش العظيم ان تضيع اياما مع هؤلاء الخلق مع
هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي
ترجع اليه اخر الامر وحده فلا يبقى لك الا هو ابد الابدين والحاجة كلها
اليه والتكلان كله عليه والاعتصام كله في كل حال وعند كل شدة
وهو لك وحده لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى
والله ولي التوفيق والهداية بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهد
من حالاتها وزيادة ارادتها وسوء اختيارها انها في حال الشهوة
بهيمة وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال
النعمة تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع
تراها مختالا ان اشبعتها بطرت وفرحت وان جوعتها
صاحت وجزعت فهي كما قال الاول كحمار السوء ان اقضمته
رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين
حيث قال ان ارادة هذه النفس وجهلها لخبيث اذا همت
بمعصية او انبعث شهوتها ولو تشفعت اليها بالله سبحانه ودع

ثم برسوله وجميع انبيائه صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وكتابه وبجميع السلف
الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا للتعطيل
القيامة ولا تترك الشهوة ثم اذا استقبلتها بمنع رغيف فانها
وتسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل
ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله وعم نواله
ان النفس لامارة بالسوء بهذا تنبيهها من غفلة ولقد بلغني عن بعض الصالحين
يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت
سبحان الله ان الله عز وجل يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه
تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس
لتتروح اليهم وتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام
فقلت لها لا انزلك في العمران ولا انزلك على معرفة فاجابتك
واساءت الظن بما قلت الله تعالى صدق القايلين فقلت لها اقاتل
العدو حاسرا فتكونين اول قتيل وجدو اشياء مما اراد
فاجابت الى ذلك كله فقلت يا رب نبهني لها فانه متهم لها
مصدق لك فكوشفت بانها تقول لنا انت يا احمد تقتلني

فكن

كل يوم مينوك اباي شهواة مرات لحال الغنكد من الشعريه احدان فان تلت

قتلت قتلت فتلته مرة واحدة فنحوت منك وبينا مع الناس

فيقال الشهيد احمد رحمه الله عليكم ان ذكرا فقعدت ولم اخرج الى

الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها تراءيها

الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القائل واحسن

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا فعليك

رحمك الله تعالى لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها

قلبك بكل حال لتسلم ان شاء الله تعالى ثم عليك بالمجاهدة التقوى

لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة

شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات

والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وان شطر الاجتناب

على كل حال اصلح واسلم وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب

ولذلك تشغل المبتدئين واهل العبادة الذين هم في

اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا

النهار ويقوموا الليل ونحو ذلك ولشتغل المنتهون اولو البصائر

قلب

الغافلة العبادة والغافلة الزهد والزاهد

من اهل العبادة تشمر الاجتناب انما همهم وحفظوا قلوبهم عن الميل الى
غير الله سبحانه وتعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم
عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد وكانوا سبعة
ليونس صلوات الله عليه يا يونس من حبب اليهم الصلوات الله عليه يا يونس
من الناس من حبب اليهم الصلوات فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود
العبادة لتنبت يدي تعالى والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم
الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون عليه شيئا
يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت من كل
سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء
افضل منه ولا تصوم لشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك النظر ان علمت جميعا والا
فقد استكملت امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم تتبع
الى احدهما فعليك ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم
والاخرة النظر بين جميعا وما ينفعك قيام الليل وتعب ثم
تحبط بارادة واحدة وما ينفعك صيام نهار طويل ثم تفسده

بكلمة واحدة وما يضحكك ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه
قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الخير قليل
الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما ذكرناه حال المريض وذلك ان
مجموع معالجة المريض نصفان ونصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا فكانك
بالمريض قد برء وصح والا فالاحتماء به اولى اذ لا ينفع الدواء مع ترك الاحتماء
ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل
كل دواء الحمية والمعنى بها والله تعالى اعلم انها تغني عن كل دواء ولذلك يقال ان
الهند جل معالجتهم الحمية يمتنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرا
ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وجوهره فلهذا
بهم الطبقة العلية من العلماء العباد فعليك الجهود في ذلك وصرف حالك
الى ذلك والله تعالى ولي التوفيق بفضله

الفصل الثاني في معالجة الاعضاء

الاربع ثم راجع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول الاول العين وحسبك فيها
ان مدار امر الدين والدنيا على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده
في الاكثر من العين ولذلك قال رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس للقلب
عنده قيمة والثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنمك وثمرة تعبك

وإجتهادك كله للطاعة والعبادة وان خطر العبادة واحباطها

بالتصنع وافاتها في الاكثر من قبل اللسان والتزين والغيبة ونحوها يتلف عملك

بلحظة واحدة ما تتعب فيه سنة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل شعر وما شيء احق

بطول سجن اذا فكرت فيه من اللسان ومما روي ان احد العباد السبعة

قال للنبي عليه السلام دلني ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يقو

واعبد عباد الله شيء افضل من الصبر عن الكلام في فضل طويل ثم

عاد الى ذلك الشيء اعني بدء من سدده مدرك فهذه دقيقة ثم اذكر

النفس التي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله

فربما يوافق ساعة عن نزهة فيغفر الله عز وجل لك فيربح راس مالك

او قلت لا اله الا الله فيكون من الاجر والذخر ما لا يحيط به و

بهمك او لو قلت اسال الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى

دعوتك فتنجو من بلية الدنيا والاخرة افلا تكون

من الخسران العظيم والغبن القطيع لان تفوت عن نفسك

كل هذه الفوائد الكريمة وتجعل نفسك و وقتك في فضول

اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد احكي

[illegible]

العائق

ثم وإذا هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا وإلا الباكت

النطق وحسبك أن مقصودك العبادة وأن الطعام بذر العبادة ومادتها

به تربو وتنبت وإن خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر أن يفسد عليك

أرضك فلا تصلح أبدا ومن ذلك حكي عن معروف الكرخي رحمه الله تعالى أنه قال

فانظر على أي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من تأكل فكم من آكل أكلة انقلب قلبه

عما كان عليه ولا يعود على حاله أبدا وكم من أكلة حرمت قيام ليلة وكم نظرة منعت

قراءة سورة وإن العبد ليأكل الأكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك أيها الرجل

بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد في قوتك إن كانت لك عناية بقلبك ودينك

في عبادة ربك هذا في أصل القوت حتى يكون من وجهه ثم عليك بالأدب فيه

وإلا كنت حمالا للطعام مضيعا للأيام إذ قد علمنا يقينا بل رأينا عيانا أن

العبادة لا تجري مجاريها إذا امتلأ البطن وإن أكرهت النفس على ذلك

وجاهدت بضروب الجهد فلا يكون لتلك العبادة لذة وحلاوة ولذلك

قيل لا تطمع في حلاوة العبادة مع كثرة الأكل وأي نور وقيمة لعبادة

في عبادة بلا لذة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال إبراهيم

بن أدهم صحبت أكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان فكانوا يوصونني إذا

الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قال لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا
لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا الناس فلا ينتظرون رضا الرب ومن يكثر الكلام
بالفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله قال
جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع
راس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم
نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه وتعالى والرابع القلب فحسبك انه اصل الكل ان افسدته
فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وساير الاعضاء اغصان ومن الشجرة
يشرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وساير الاعضاء تبع وان كان فاذا صلح
الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت فافهم فان صلاح العين واللسان والبطن
وغيرها دليل على صلاح القلب وعمرانه فاذا رايت فيه خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثمه بل الفساد فيه اكبر فاهتم في
عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل ثمره وتستريح ثم امره دقيق عسير اذ هو
مبني على الخواطر التي ليست تحت يدك فلزمك الامتناع من اتباعها
بجهدك وطاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا الامر صار اصلاحه اشد على

عشر اولی عشر و نفی عشر و کان علی ۱۲

بالمحاسبة لا الاجتهاد و الاهتمام بامره والکثر و الکبر عند اولی الابصار و عن ابی یزید رحمه الله تعالی
انه قال عالجت قلبی اصعب الثلاثه فبدء بهذه ثم علیک بالاهتمام بالحصال الاربع التی ذکرناها
من الامل و العجلة فی الامور و الحسد و الکبر و انما خصصنا هذه الاربع من بین
سایر الخصال فی هذه الموضع و خصصنا علی عموما و تعتری القراء خصوصا
فیکون اقبح و اشنع فتری الرجل القاری بطول الامل و بعده نیة خیر فیتوقعه
فی الکسل و التوانی فی الامر و تراه یتعجل فی تحصیل منازل الخیر فینقطع
عنها او فی اجابة دعاء صالح فیجر ثم ذلک الی الدعاء علی احد بسوء فیندم
علی ذلک کما دعا نوح علیه السلام و تراه یحسد نظراء علی ما اتاهم الله تعالی
من فضله حتی ربما یبلغ منه ذلک مبلغا یحمله علی قبایح و فضایح لا یقدم
علیها فاسق و لا فاجر و لهذا المعنی قال سفیان الثوری رحمه الله ما اخاف علی
دینی الا القراء و العلماء و الامراء فاستنکر الثوری رحمه الله ما اخاف علی دینی من
القراء و العلماء و الامراء فامنه ذلک فقال ما انا قلته انما قال ابراهیم
النخعی و عن عطاء قال لی الثوری و احذر زلتی معهم فلو خالفت
او رددتهم لی فی زمانه فاقول انها حلوة و یقول اما امثة الا السعی بدرهم
الا السلطان جایزة و عن مالک بن دینار رحمه الله تعالی انه قال

الاحمر الکبر منها الا الریا علی القراء خاصة ۱۲

یطرا ای یسبق النظرا اعطیة العظمة بالنعم

داخل الفقرا ای فی المنزلة

الهیئة حاصل

نقضه علی النظرا بالنعمة

شهادة الفقراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادة بعضهم على بعض لانهم حسادا

وعن الفضيل رحمه الله انه قال لابنه اشتر لي دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم

ان ظهرت علي نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر على الناس ويتجهم لهم مصعرا خده

معبس وجهه كانما يمن على الناس بالصلاة زيادة ركعتين وكانما جاءت منشورا

من الله تعالى بالجنة والبراءة من النار وكانه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة

لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس الاموات اضعافا من صوف وغيره وثياب

وهذا لا يليق بالترفع والتكبر ولا تلائمه بل تناقضه ولكن الاعمى لا يبصر فيتكبر

ان فرقد السبخي دخل على الحسن رحمة الله تعالى وعليه كساء وعلى الحسن

حلة فجعل يلمسها فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك

ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا

الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم الذي يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم

كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى اشار ذو النون

حيث قال شعر تصوف فازدهى بالصوف جهلا وبعض الناس

يلبسه مجانة يريك مهانة ويريك كبرا وليس الكبر من شكل المهانة

تصوف كي يقال له امين وما يعني تصوفه الامانة ولم يرد

بلا زهد ... والاستخفاف ... مدا حضر مجالس الزينة

ولكن اذا اراد به الطريق الى الجنة فليحذر اشد الحذر من هذه الافات الاربع
لا سيما الكبر فان الثلثة الاول مداحض مداحض لو زللت فيها لو قعت في العصيان والكبر
مداحض لو وقعت فيه لو قعت في بحار الكفر والطغيان ولانس حديث ابليس
عليه اللعنة وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله تعالى

الفصل الثالث في ذكر الوار الربعة

ان يعصمنا جميعا لحسن نظره انه جواد كريم
وخلاصة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان
نفعها لا يفي بضررها وتبعاتها من كل البدن وشغل القلب في الدنيا والحساب والعذاب الاليم
الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة
ربك وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك
القادر الغني الكريم والصمد الغافر الرحيم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم
اكثر من معونتهم فيما يعنيك فتركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه فتنتفع بخيرهم وتجتنب
ضرهم وتجعل صحبتك لمن لا تحترم صحبته والتزم على خدمته واشتغل بكتابه
وملازمتك اياه فيكون لك لكل حال وترى منه كل جميل وافضال وتجده
عند كل نائبة في الدنيا والاخرة كما قال عليه السلام احفظ الله تجده
امامك حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك

فاستعذ بربك القادر القاهر من خبث هذا الكلب اللعين فلا تغفل عن

مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله جل جلاله ولا تعبأن بذلك فانه

يسير اذا ظهرت عزايم الرجال وانه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم

يتوكلون ولقد صدق ابو حازم رحمه الله تعالى فيما قال الدنيا وما ابليس

اما الدنيا فما مضى فحلم وما بقى فاماني واما الشيطان فوالله لقد

اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر ولو علمت جهالة هذه النفس وحماقتها

الى ما يضرها ويهلكها نظرت اليها رحمة لها نظر العقلاء الذين ينظرون في العواقب

لا نظر الجهال الصبيان الذين ينظرون الى الحال ولا يفطنون للعاقبة

الاذى ويتوقون عن مرارة الدواء فالجمتها بلجام التقوى بان تمنعها

عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول الكلام ونظر او تلبس تجمله فاسد

وطول امل او تجمل او حسد مسلم او تكبر في غير موضع او اكل

بمحض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا لحاق منه

ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله تعالى الامر

على عباده رحمة واغناهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم

فاي حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان

العلماء

آد

التقوى أهون شيء إذا رابني شيء تركته فإن النفس تلين وتتعود ما عوّدتها وإنها لكما

قال القائل ع والنفس راغبة إذا رغّبتها ۞ وإذا تردّ إلى قليل تقنع ۞ وقال

الآخر ع وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ۞ فإن أطمعت تاقت وإلا تسلّت ۞

وإذا علمت وعملت بما وصفنا مكنت ۞ من الزاهدين الراغبين في الآخرة ۞

واعلم أن من سمّي باسم الزهد فلقد سمّي بألف اسم ممدوح وكنت من المعرضين عن الدنيا

المنقطعين إلى الله سبحانه وتعالى وهم أهل الأنس وخدم رب العالمين فتكون كما قال

القائل بيت ع شتّان ما بين قوم همّهم دنياهم ۞ وقوم تخلّوا لمولاهم ۞ فألزمهم باب مرضاته

وعن سواه من الخلق أغناهم ۞ ولكنت من المجاهدين في الله عز وجل الخواص من

عباده الذين قال فيهم سبحانه وتعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين

لهم سعادة الدارين وصرت في أفضل من كثير من الملائكة المقربين إذ هم بلا

شهوة تدعوهم إلى قبيح والنفس خبيثة وقد خلّفت هذه العقبة الكؤود

الشديدة وراءك وسبقت العوائق كلها إلى مقصودك فلا تهون لك

فإن مع الاستعانة بالله عز وجل والاعتصام به لتعين لنسأل الله

وهو خير مسؤول أن يمدك وإيانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فإنه الكافي

لكل مهم الاستعانة به في كل معضل فبيده الخلق والأمر وهو على كل شيء

قدير فهذا ما اوردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الرابع في العقبة الرابعة

وهي عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله عز وجل بكفاية العوارض الشاغلة عن عبادة الله عز وجل وسد سبيلها عليك لئلا تشغلنك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك واما كفايته فالتوكل فعليك بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في موضع الرزق والحاجة في كل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة يتمشى لك من الخير حقه فان من لم يكن متوكلا فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله تعالى بطلب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بالطلب والكسب بالبدن كعامة الراغبين واما بالذكر والارادة والوسوسة بالقلب كالمجتهدين من المتعلقين فالعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن لتحصل حقيقتها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل اقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا واخره وكثيرا ما سمعت شيخي ابا محمد رحمه الله يقول انما الامور تتمشى في العالم برجلين متوكل او متهور قلت انا وهذا الكلام جامع في معناه فان المتهور

يقصد الامور على قوة عادة وجرارة قلب الا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر لضعفه فيجزل

له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة بصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقته

بضمانه ولا يلتفت الى الناس بخوفه او شيطان يوسوسه فيفوز بكل المقاصد ويظفر بالمطالب

واما المعلق الضعيف فابدا بين نكول وتردد وفتور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج

في نقبه يرمق مال العوق من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك لانه حدث نفسه عن معالي الامور

وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امر نفيا وان قصده فلا يكاد يظفر به ولا يتم

له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا

بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهاليهم اما الملوك فيبارزون الحروب

ويكافحون الاعداء اما هلكا واما ملكا حتى تحصل لهم مرتبة الملك

وعقدة الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال من اراد

خطيرا خاطر بعظيمه واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم

واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون انفسهم ~~واموالهم في المقاطع~~

~~شرقا وغربا~~ على احد الامرين اما فوق الارواح واما حصول الارباح

حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما السوقي

الذي ضعف قلبه ورق همته فلا يكاد يقلع القلب عن علاقته من نفسه وماله

وماله فهو من بينه الى ان انه طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح
عظيم كالتجار المخاطرين فلهم قال في سوقه رجا على بضاعته درهما فذلك له كثير ولكن
لتعلق قلبه بشيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فانهم اهتموا باحكام
الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن التوكل على العلايق فلما احكموها وحصلوا حقيقتها
تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام القفار وفي استطام
الجبال والشعاب فصاروا اقويا العباد ورجال الدين واحرار الناس وملوك الناس في الارض
بالحقيقة يسيرون حيث شاؤا وينزلون حيث يشاؤن ويقصدون الامور العلي
علما وعبادة كما يشاؤن لا عايق لهم ولا حاجز لهم دونهم فكل الاماكن
لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله عليه السلام
من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره ان يكون اغنى
الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وعن سلمان الخواص رحمه الله تعالى
قال لو ان رجلا توكل على الله عز وجل بصدق النية لاحتاج اليه الامراء
ومن دونهم وكيف يحتاج هو الى احد ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم
الخواص رحمه الله تعالى قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة فقلت
الى اين يا غلام قال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة قال

يا ضعيف النفس الذي تقدر على حفظ السموات والارض تقدر ان توصلني
الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة حرسها الله عز وجل
فاذا هو في الطواف ويقول يا نفس سيحي ابدا وموتي كمدا ولا تحبي احدا الا
الجليل الصمد فلما راني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف وقال
ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من التوكل بغير زاد
قال حاتم رحمه الله تعالى زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والاخرة
مملوكة لله عز وجل وارى الخلق كلهم عبيد الله وعياله وارى الارزاق
والاسباب كلها بيد الله جل جلاله وارى قضاء الله تعالى نافذا في جميع
الارض الله تعالى ولقد صدق من قال ارى اناسا في زي ورا
قلوبهم عن الدنيا مزاحمة اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض
شيمتهم سماحة. واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه لا اله
الا هو في هذا فهو ما ذكره من الخطر العظيم والامر الكبير فليت شعري الست
الله عز وجل قرن الرزق بالخلق ~~فقال عز وجل قرن الرزق~~
بالخلق فقال عز وجل خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق
من الله عز وجل لا غير كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد

الكنز ... [illegible]

فقال إن الله تعالى هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الأرض إلا على الله
رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون
ثم لم يكتف بذلك كله حتى أمرنا بالتوكل وكل بلغ وأنذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت
وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر بقوله ولم يكتف بوعده
ولم يطمئن إلى ضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده فانظر
ماذا يكون حاله وأنتبه أية محنة تنجي من هذا وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها في
غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الأمين عليه السلام لابن عمر كيف أنت إذا
بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن رحمه الله تعالى لعن الله أقواما أقسم
لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة عليهم السلام عند نزول هذه الآية فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم
لهم ربهم على أرزاقهم وعن أويس القرني رحمه الله عز وجل أنه قال لو عبدت الله عز وجل
عبادة أهل السموات والأرض ما قبل منك حتى تصدقه فقيل وكيف نصدقه قال
تكون آمنا مما تكفل الله سبحانه وتعالى لك من رزقك وترى جسدك فارغا لعبادة
الله عز وجل ولقد قال هرم بن حيان لأويس أين تأمرني أن أقيم فأومى بيده إلى
الشام قال وكيف المعيشة بها فقال أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة

وبلغني ان بنانا قدم على ابي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى فسأله عن حاله فقال بحثت
عن الف قبر فلم ار وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك
نقم فيهم الرزق حولت وجوههم عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه زار رجلا
من اهل الصلاح فسأله عن حاله فقال هل يتم يا بني قال انما نسلم الايمان للمسلم كلكم
نسال الله عز وجل ان يصلحنا بفضله وان لا يواخذنا بالخبث بفضله انه ارحم
الراحمين فهذه هذه فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه ما يلزم العبد منه في
امر الرزق فاعلم انه انما يتبين لك في اربعة فصول بيان اسمه لفظة التوكل.
وموضعه وحده وحكمه اما اللفظ فانما هو تفعل من الوكالة فالمتوكل
على هذا انما هو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره الضامن لاصلاح حاله الكافي
من غير تكلف واهتمام فهذه جملته واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم
مطلق في ثلاثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله جل جلاله
بانه لا يفوتك ما قسم لك فانه حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع والثاني
في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله تعالى لك اذا انصرته
وجاهدت في الله فاذا عزمت فتوكل وقال تبارك وتعالى ان
تنصروا الله ينصركم وقال عز من قائل وكان حقا علينا نصر المؤمنين

وهذا واجب بالتوحيد الثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله تعالى متكفل
بما يقيم بنيتك لخدمته ويمكنك من عبادته وذلك قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال الصادق الامين عليه السلام لو توكلتم على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدلالة العقل والشرع
جميعا فهذا هو الاشهر والاغلب من معنى التوكل في موضع الرزق وهو المقصود
من هذا الفصل فموضع التوكل اذن هو الرزق المضمون فيما قال العلماء بالله تعالى
كثرهم الله عز وجل وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق
اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون الغذاء وما به قوام
البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله تعالى بهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل
العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فقد ضمن ما يسد
خلال البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض المشايخ الكرامية كلاما اعجبني على
اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلاثة اشياء احدها
انه سيد ونحن عبيده وعلى السيد كفاية مؤنة العبد كما ان على العبد خدمة السيد
والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه
اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه

سنو مكانه وحيه وقبل ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه
والثالث ان الله كلفهم الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب ان
يكفيهم المونة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية و
والقايل بان على الله سبحانه وتعالى واجبا فافهم وقد اوضحنا في فن الكلام
فساده فلنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما
قسم الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ ماكلا ومشربا وملبسا
لكل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم
ولا يتاخر عما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم
ومفروغ ليس تقوى متقي بزايد ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك
فما يملكه كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم
له ان يملكه وهو رزق الله تعالى ايضا قال الله تعالى عز وجل انفقوا مما رزقناكم
اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله جل جلاله المتقين من عباده بشرط
التقوى حلالا من غير كد قال الله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون
منها فاعلم ذلك واما حد التوكل فقد قال بعض اشياخنا انه اتكال القلب على الله سبحانه

ما الانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله عز وجل لموضع
المصلحة بترك تعليقه على شيء دونه وقال الشيخ ابو محمد رحمه الله تعالى وقال الامام رحمه
الله تعالى التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله عز وجل
والتعليق ذكر قوامها بمن دونه سبحانه وتعالى لا اله الا هو والاقاويل كلها
ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على قوام بنيتك وسد خلتك
وكفايتك انما هو من الله جل جلاله لا باحد دونه سبحانه وان الطعام من الدنيا
والسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء سبب له مخلوقا او جعل ما وان شاء ركه
بقدرته دون الاسباب والوسائط فاذا ذكرت ذلك بقلبك ووطنت
عليه وانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب مرة الى الله سبحانه وتعالى وحده فقد
حصل التوكل حقه فهذا حده واما حصن التوكل الباعث فهو ذكر
الله جل جلاله وحصن التوكل ذكر جلال الله جل جلاله وكماله حصنه
وعلمه وقدرته ونزاهته عن الخلق والسهو والعجز والنقص
فاذا واظب العبد على هذه الاذكار بعثه على التوكل
على الله سبحانه في امر الرزق فان قيل فهل يلزم
العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق مضمون

هو الغذاء والقوام فلا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه بالعبد
كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم
من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك
انما حاجته الى المضمون وهو من الله سبحانه وفي ضمان الله
عز وجل وابتغوا من فضل الله فالمراد به العلم والثواب
وقيل بل هو رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون
بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن
لهذا الرزق المضمون اسباب فهل يلزمنا طلب الاسباب
له قيل لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة بالعبد اليه اذ الله تبارك
وتعالى يفعل بسبب وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب
ثم ان الله عز وجل ضمن لك ضمانا مطلقا من غير شرط
الطلب والكسب قال الله عز وجل وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يأمر العبد بطلب
مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منه رزقه الله
الذي يتغذى به لا جرم والذي يصير سبب غذائه وتربيته

بدنه
يتناوله

ولكان نقص فلا يصح له ان يحصل من يعني ذلك السبب لا يرزق احد منا فالواجب لا غير
فقامل من اقتدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء عليهم السلام
والاولياء المتوكلين لم يطلبوا ارزاقا في الاكثر والاعم
وتجردوا للعبادة باجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله تعالى
ولا عاصين له تعالى في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه
ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل
ينقص بترك الطلب قلت لا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر
موقت فلا تبديل لحكم الله تعالى ولا تغيير لقسمه وكتابته هذا
هو صحيح عند علمائنا رحمهم الله تعالى خلافا لما ذهب اليه بعض
الصالحين كما تم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص
بفعل العبد لكن احيانا يزيد وينقص في مدة فاسدا الا ان
الدليل في موضعين واحد وهو الكتابة والقسمة والثاني
الاشارة بقوله عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتيكم ولو كان الطلب يزيد والترك ينقص
لكان للفرح والاسى موضع اذ قصر وتعالى تحقق

تواني

فلته وجاد ويتبشر حتى حصاده وقال صلى الله عليه وسلم للسائل ماك لولم تاته
لاتيك فان قلت فالثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزم من طلب الثواب
وترك ما يوجب العقاب فيهل زيد بالطلب وينقص بتركه فاعلم ان طلب الثواب انما
وجب لان الله تعالى امر به امرا حتما واوعد على تركه ولم يضمن بالثواب على تركه
غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق بينهما في نكتة وهي
ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب مطلقا في المحفوظ قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير
شرط التعليق بفعل العبد وهو الارزاق والاجال اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى
مطلقا غير مشروط وقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال جل جلاله فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اربعة اشياء
وقد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق
والاجل مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف ذكرهما الله في كتابه معلقا
مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا
بفعل العبد قال الله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم وهذا بين فاعلم فان قيل نحن نجد الطالبين يجدون
الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون

قيل له كانك لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا او بارا كافرا عامرا وقاطعا غنيا بل لانا
هذا هو الاكثر لنعلم ان ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وانشدنا ابو بكر محمد بن
سابق الصقلي الواعظ الواعظ رحمه الله تعالى بالشام   فكم قوي قوي في تقلبه مهذب
الراي عنه الرزق منحرف   وكم ضعيف ضعيف في تقلبه كانه من خليج البحر يغترف
وهذا دليل على ان الاله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف فان قلت هل يدخل البادية
بلا زاد فاعلم انه اذا كان لك قوة القلب بالله تعالى والثقة البالغة بوعد الله تعالى
فادخل والا فكن كالعوام بعلايقهم ولقد سمعت الامام الهمداني رحمه الله تعالى يقول ان من
جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله عز وجل معه على ما هو عادة الناس في كفاية
المونة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوايد جمة لمن تاملها فان قلت اليس الله عز وجل
يقول فتزودوا فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد
الاخرة ولذلك قال فان خير الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها والثاني
كان قوم لا ياخذون الزاد في طريق الحج لانفسهم اتكالا على الناس ويسالون
الناس ويلحون ويوذون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على اخذ الزاد من
مالهم خير من اخذ مال الناس والاتكال عليهم فكذلك نقول فان قلت
فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما

٧٥

ربما يحمل والتعلق القلب بالله سبحانه وتعالى ويتوكل عليه ويقول انما الرزق مقسوم
ومفروغ عنه والله عز وجل ان شاء اقام بنيته بهذا او بغيره وربما يحمل
الماء لآخر بان يعين مسلما او نحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد
وتركه انما الشان في القلب لا تعلق قلبك الا بوعد الله تعالى وحسن ضمانه
وكفايته وكم من حامل الزاد وقلبه مع الله عز وجل دون الزاد وكم من تارك
الزاد وقلبه مع الزاد دون الله عز وجل فالشان اذن في القلب فافهم
هذه الاصول تكفي بمونة ان شاء الله عز وجل فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم
كان يحمل الزاد كذلك الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين قيل له فلا حرم
ان ذلك مباح غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله
سبحانه وتعالى فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
الله عز وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت اعصاه في ذلك وعلق
قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار كلا وحاشا ان يكون ذلك
بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله على الله عز وجل فانه الذي لم
يلتفت الى الدنيا باسرها لم يمد يده الى مفاتيح خزائن الارض
كلها وانما كان اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح

الثبات الخير لا الريب قلوبهم عن الله سبحانه الى الزاد وهم عن المقصد الذي اعلمان
فتنبه من رقدتك فان قلت فايهما افضل اخذ الزاد او تركه فاعلم
ان هذا يختلف باختلاف الاحوال فان كان مقتدى به يريد ان يبين ان
ان اخذ الزاد تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الاحوال
فان كان مقتدى به يريد ان يبين اخذ الزاد مباح او ينوي به عون
مسلم واغاثة ملهوف ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان منفردا قوي
القلب بالله سبحانه يشغله الزاد عن عبادة الله تعالى فالترك افضل ففهم
هذه الجملة واحتفظ بها راشدا وبالله التوفيق — الاخطار
والمخافات في ركوبها وادويتها وقصدها وانما كفيتها في التفويض
فعليك بتفويض الامر كله الى الله سبحانه وتعالى وذلك الامر بهم احدهما
لطمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطيرة مبهمة لا تدري
صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب هائم النفس لا تدري
تقع في صلاح وخير فيكون امنا من الخطر والمخافة مطمئن
القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن والراحة في
الوقت غنيمة وكان شيخنا رحمه الله تعالى في مجالسه يقول

كثيراً دع التدبير على خلقك تستريح وقد انشد ذلك في ذلك ان كان
بليس يدري اني المحبوب صنع له ام المكروه لحري بان يفوض ما يعجز عنه الى الذي
يكفيه الا الله البر الذي هو بار رافة احسن من امه وابيه والذي مراد تمام قطعا اصلاح
كالجنة والابن من الامر بين حصول الصلاح والخير في الاستعجال وذلك لان الامور
بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم في هيئة
شهد وانت الجاهل في العواقب والاسرار فاذا اردت الامور قطعا واحدث
فيها باختيارك فما اسرع ما تقع في هلاك ولا تشعر ولقد حكى ان بعض العباد كان
يسال الله عز وجل ان يريه ابليس عليه اللعنة فقيل له سل الله تعالى العافية
فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما راه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس
لولا انك تعيش مائة سنة لعاقبتك واهلكتك فاغتر بقوله وقال في نفسه
ان عمري بعد طويل فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في الفسق وترك العبادة
فهلك ففي هذا ما ينهاك على ترك الحكم في ارادتك واللجاج في مطلوبك
وتحذرك طول الامل الصد فانه الافة العظيمة ولقد صدق
القايل واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت
منية واما اذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسالته ان يختار لك

ما هو صلاح حكم لم يتعلق الا الخير والسداد ولا يقع الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح
وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا واما ترى كيف اعقب
تفويضه الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ الامراد فنال موفقا
قال قلت بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين بهما يصح الكلام
والاول موضع التفويض والثاني معناه وحده اما موضعه فاعلم
ان المرادات
ثلاثة مراد تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب
ومن الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد
قطعا انه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلذلك بالحكم لا موضع
للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير صلاح والثالث مراد لا نعلم يقينا
وقطعا ان كان فيه صلاحا او فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات
فهذا موضع التفويض فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء فهو تفويض
وان اردت بشرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء
فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه
فموضع التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن صلاحه

فيه واما معنى التفويض فقد قال بعض شيوخنا رحمهم الله تعالى هو ترك اختيار ما فيه
مخاطرة الى اختيار المعبر العالم بصلاح الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السنجري رحمه الله
رحمه الله تعالى هو ترك اختيار ذكر المخاطرة الى المختار ليختار لك ما هو خير لك
قال الشيخ ابو عبد رحمه الله تعالى هو ترك الطمع والطمع ارادة الشي الخاطر
بالحكم فهذه عبارات المشايخ رحمهم الله تعالى والذي نقوله ان التفويض ارادة
ان يحفظ الله عز وجل مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع في
الجملة يجري على وجهين احدهما في معنى الرجاء يريد شيا لا خطر فيه او مخاطرا بالاستثناء
وذلك ممدوح غير مذموم كما قال الله تعالى عز وجل والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقال جل جلاله انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبب ههنا والثاني طمع مذموم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر فقيل ملاك الدين وفساده
الطمع وملاكه الورع وقال شيخنا رحمهم الله تعالى الطمع المذموم شيا يكون
الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة الشي الخاطر بالحكم وهذه الارادة
تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حصن التفويض فهو
ذكر خطر الامور والمكون ان الهلاك والفساد فيها وحصن حصين

ذكر تحركك في الاعتصام بهم ووب الافتتاح عن الوقوع فيها لجهلك
وغفلتك وضعفك والمواظبة على هذين الذكرين تحملك على
تفويض الامور كلها الى الله عز وجل والتحفظ عن الحكم فيها
والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه جملة وبالله
التوفيق فان قيل ما هذا الخطر الذي لم يحصل لاحد من الامور فاعلم ان
الخطر من الحار خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل اليه
او لا تصل وهذا الاحتياج الى الاستثناء يقع في باب النية والامل والاماني
وخطر الفساد بان لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي تحتاج فيه
الى التفويض ثم اختلف عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم ان
الخطر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه آفات
فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها اي لا يمكن دونها
نجاة ولا يمكن ان يجامعه ذنب فاذن لا يصح ارادة الاستقامة والايمان
بالحكم ودونه الاستاذ رحمه الله تعالى الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه
ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل
وذلك يقع في المباحات والسنن والنوافل الا من الفرض

معلية وقت الصلوة وقصد اداءها فعرض له حريق او غريق يمكنه
انقاذه فالاشتغال بانقاذه اولى من الاقبال على صلواته فلا يصح اذن
ارادة المباحات والنوافل واكثر من الفرائض بالحكم فان قيل كيف
يصح ان يفرض الله تعالى على عبده شيئا ويوعده على تركه ثم لا يكون
له صلاح في فعله فاعلم ان الشيخ رحمه الله تعالى قال ان حبب جل جلاله لا يامر العبد
بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعل فرض
بحيث انه لا معدل له عن ذلك الا وله فيه صلاح فانه ربما لبب الله
عز وجل له عذرا لاجابة بكون العدول عن احد الامورين اولى من
الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لا يترك
هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى ولقد سمعت الامام رحمه
الله في هذه المسئلة يقول ان ما فرض الله عز وجل على عباده من الصلوة
والصوم والحج ونحو ذلك ففيها صلاح لا محالة للعبد وصحت ارادتها بالحكم فان قلت
رانيا على ذلك فيقتضي المباحات والنوافل اذن في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من
غوامض الباب وبالله التوفيق فان قيل هل يجوز ان يفوض الله تعالى الى العباد والى رسوله
فاعلم ان في الغالب لا يفعل المفوض الا الصلاح وقد يفعله في النادر غير
الصلاح ثم لذلك ربما يجد له الله عز وجل فيقع عن مثله التفويض وان الشيخ الى حجر

والحج بدله

وقال الشيخ ابو عمر رحمه الله تعالى وقيل الفعل بالمفوض الا ما فيه صلاح
فيما فوض الى الله سبحانه وتعالى والخذلان والقصور عن منزلة التفويض فما لا
يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض انما يقع فيما يشك
في فساده وصلاحه فهذا اولى القولين عند شيخنا رحمه الله تعالى اذ لولا ذلك
لما قويت الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب الفعل بالمفوض
ما هو افضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله عز وجل فلا يجب
لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح ودون الاصلح حكمة وقد صح
الا ترى انه قد سمعنا صلى الله عليه وسلم واصحابه ان ناموا طول الليل
الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلواة الليل وصلواة
الصبح والصلواة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى النعمة ودار
الدنيا وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج
وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعبادة خبير بصير وقد يكون
الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء اللحم
افضل وانفس لما علم ان صلاحه في ماء الشعير والمقصود
للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفنا والهلاك
فان قيل فهل يكون ما فوض مختارا فاعلم ان الصحيح عنده

٧٩

اعلم يا رحمهم الله تعالى انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه وذلك ان المعنى
فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل فهو يريد من الله عز وجل
ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب احب دوائي ماء السكر دون
ماء الشعير اذا كان لي صلاح في كليهما ليحصل الفضل والصلاح جميعا فكذلك
العبد اذا سأل الله تعالى ان يحبب صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك
ليجتمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله تعالى
له الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك فان قيل فلما اذا كان للعبد
ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح قيل لان الوقت سهان
العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ويريده بالحكم
ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله عز وجل ان يحبب صلاحه فيما هو
الافضل ويختار له ذلك بالقدرة لا ان للعبد تحكما في شيء من ذلك فاعلمه فهذه
جمل من دقيق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما خضنا
بالارادة لانه بلا ظلم بحار علوم المكاشفة مع اني اقتصرت على النكت المقنعة
في هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون النتاج
الله تعالى والله ولي التوفيق   ودود النواجه وانما
كفايته من الرضا به فعليك ان ترضى بقضاء الله تعالى وذلك لامرين
احدهما للتفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض القضاء فيكون مهموما

مشغول القلب ابدا بانه لم كان كذا ولماذا لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء
من هذه الهموم فكيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من
الهموم لما كان وما يكون من امر الدنيا فاي موضع يبقى فيه لذكر العبادة والفكر
ولقد صدق شقيق البلخي رحمه الله تعالى حيث قال ان حسرة الامور الماضية وتدبير الاتية
قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثاني من الامر بخطر ما في السخط من غضب
الله عز وجل ولقد روينا في الاخبار ان نبيا من الانبياء عليهم السلام
شكا بعض ما نابه من المكروه الى الله سبحانه وتعالى فاوحى جل جلاله اليه تشكوني
ولست باهل لذم ولا شكوى وهذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي
عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي
ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت
لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك
النار ولا ابالي قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد
الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم اسمع ما يقول جل
جلاله لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى وهذا حديث النفس
وتردد القلب فكيف من يصرح بالسخط ويبادر بالويل والتشكي
والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤوس الملأ ويحدث به اخوانا
واصحابا وهذا السخط مرة فكيف بمن هو في السخط على الله

عزّ وجلّ وتضييع عمره وهذا طريق الآية فكيف يمكن يشكي الى غيره نعوذ بالله منها ومن شرور انفسنا ومن
سيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويغفر لنا ذنوبنا ويستر ادبارنا ويصلحنا بحسن نظره
انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى الرضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم ان علماءنا رحمهم الله تعالى قالوا
الرضاء ترك السخط والسخط ارادة غير الحكم الذي قضى الله سبحانه وتعالى بانه اولى به واصلح
له فيما لا يستيقن فساده وصلاحه هذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشر داخلًا تحت قضاء
الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه وذلك فاعلم ان الرضاء انما يلزم بالقضاء
وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله تعالى
ان المقضيات اربع نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضاء فيها بالقضاء والقاضي
والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انه نعمة والشدة يجب فيها الرضاء بالقاضي والقضاء
والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انه شدة والخير يجب فيه الرضاء بالقاضي والقضاء
والمقضي من حيث انه يجب عليه ذكر المنة من حيث انه وفق له والشر يجب عليه
الرضاء فيه بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث انه شر
فكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى بمذهب
المخالف اي يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما
يرجع الى العلم فالرضا والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف

لا لمذهبه فكذلك هذا فان قيل فالرضى هل يكون مستندا قياسا له نعم بشرط ان يكون الرضا [illegible]

دون الحكم فلا يخرجه وذلك عين الرضا بل ان يدل على الرضا فهو اولى من الجبر شيء وزيد وذلك

الاستزادة منه وكان عليه السلام اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي

غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي كل موضع من الموضعين لم يدل على انه غير راض بما قدر

الله عز وجل له من ذلك فان قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط

الصلاح فاعلم ان هذه الامور انما تكون بالقلب وانما اللسان عبارة عن ذلك فلا تعتبر

عبارته مع حضوره بالقلب فاعلم ذلك والله الموفق

وانما كفايتهم في الصبر فعليك بالصبر في المواطن وذلك لامرين احدهما الوصول

الى العبادة كلها وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة كلها على الصبر ولتحمل المشاق

فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة فلذلك ان من قصد عبادة الله تعالى وتجرد

محققا استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه احدها انه لا عبادة

الا وفي نفسها مشقة ولذلك كان بها الترغيب فيه ووعد الثواب عليه

او لا يأتي فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس اذ هي زاجرة عن الخير والرشد

ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها

ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا يفسد عمله

والا لفسد

81

وان تبقى على العمل اشد من العمل فثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها فلا بد له من
الابتلاء والشدائد مما مصائبها وذلك عدة اقسام المصيبة من الاباء والامهات والاخوان
والاصحاب بالموت والفقد والفراق ومن النفس بانواع الامراض والاوجاع ومن
العرض بتعيب الناس اياه والطعن فيه والازدراء به والغيبة له والكذب عليه ومن
المال بالذهاب والزوال ولكل واحدة من هذه المصائب لذعة وحرقة من غير
النوع الاخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التوجه للعبادة
ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله تعالى
اقرب فالمصائب من الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة
استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها
انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله
تعالى بالبلاء والمحن والمصائب والابتلاء بها وحقق ذلك واكده فقال تعالى لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
فكانه يقول عزم وحيث وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم من انواع

اما تسمع قوله

من انواع البلايا وان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فاذا عزم على
عبادة الله تعالى يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق
العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير الة واتاه من غير وجهه ولقد
ذكر عن بعض الفضلاء رحمه الله تعالى انه قال من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه
اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض
والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة
الشيطان والاخضر الوقايع بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا
والاخرة فمن ذلك النجاة والنجاح لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا معناه ومن يتق
الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وكتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام ان اباءك صبروا فظفروا وانا فاصبر كما
صبروا اظفر كما ظفروا وقيل في هذا المعنى   لا تيأسن وان طالت مطالبة
اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا   اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته   ومدمن القرع
للابواب ان يلجا   ومنها التقدم على الناس والامامة قال الله عز وجل
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قال الله

82

عز وجل انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة والصلوات والرحمة قال الله عز وجل وبشر الصابرين الى قوله عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومنها المحبة من الله عز وجل قال ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام الخلق واعدادهم وتحصيلهم قوله عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب سبحانه وسبحانه ما احسن ما اكرمه وكل هذه الكرامات في الدنيا والاخرة في الصبر قال النبي عليه السلام ما اعطي احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله تعالى عنه جميع خير الموٴمن في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون فصبر بانيا باصطبار ربما قيل هيهات لا يكون اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون ولقائل صبرت كان الصبر منك سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر اذا كان باب الذل من العز سموت الى العلياء من جانب الفقر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة ببذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله ولي التوفيق فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله تعالى واصبر نفسك اي احبس نفسك وانما يوصف الله عز وجل بالصبر على معنى حبس العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم

به ثم اعني الذي هو مساعي القلب بحبس صبر الآنة حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله
العلماء رحمهم الله تعالى ذكر اضطراب الشدة وقيل بل ارادة الخروج وتمني الخروج منها
بالكلام والصبر تركه وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها فانه لا يزيد ولا ينقص
ولا يتقدم ولا يتاخر ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحصن
هذا الحصن ذكر حسن عوض الله عز وجل عليه وكرم الذخر في ذلك فهذه
جملة وبالله التوفيق ومنه العون

فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة
والازاحة عنها والا فلا تدرك شيئا من مقصودك من العبادة ولا تجد
فيها فضلا عن ان تدركها بتحصيلها وان لكل واحدة شغلا عظيما
جليلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره فانه
فانه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت قلوبهم وشغلت قلوبهم
واكثرت همومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تبعاتهم واوزارهم
وخذلتهم عن باب الله عز وجل وجذبتهم الى خدمة الدنيا وخدمة
المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب والهم وهوان
وذل وقدموا الاخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب
ان لم يرحم الله تعالى بفضله فانظر كم آية انزل الله تعالى وكم
ذكر من وعده وضمانه واقسم على ذلك ولم يزل الانبياء

عليهم السلام والعلماء عليهم الرحمة يعظون الناس ويبيّنون لهم الطريق ويصنفون
لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى ومع ذلك لا يهتدون
ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يهتدون ولا يزالون
يخافون ان يفوتهم جدا او جهاد لصار ذلك قلة التدبر لآيات الله عز وجل
وقلة التدبر لآيات الله عز وجل وقلة التفكر في صنيع الله جل جلاله وترك
التذكر بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل في اقوال الصالحين مع
الاعتزاز بوساوس الشيطان والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات
الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فتادى بهم ذلك
الى ضعف القلوب وفي رقة اليقين واما الاخيار الذين اولو الابصار والصبر وارباب
الجد والاجتهاد والصبر واطريق السماء فلم يعبأوا واسباب الارض
واعتصموا بحبل الله تعالى فلم يكترثوا بعلائق الخلق ووثقوا بآيات الله جل جلاله
والصبر واطريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس
فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان لغى فاقاموا معه
بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم والعزل عنهم الشيطان
عليه اللعنة وانقادت لهم النفس واستقامت لهم الطريق
على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى انه لما اراد ان يدخل

لما اراد ان يخرج البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة وليس معك زاد ولا سبب فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى ان الرشيد حج في بعض السنين فرآه تحت ميل يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحاق

فانشد ابراهيم رحمه الله يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع

وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس اليه الشيطان بانك مجرد وان مضيت على تجردك وان تركت الطريق حتى لا تقع بالجدب الناس وان لا يأكل شيئا حتى تجعل فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله تعالى فاذا بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما رأيتهم رميت بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني فتنبئني الله حتى جاءوا حتى وقفوا على فنصبت شيئا قد نواني وقالوا هذا منقطع اغشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا السمن وعسلا نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بسمن وعسل فشددت فمي فاتوا بالسكين ليعالجوا فمي

حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فلما راوا ذلك قالوا مجنون انت قلت لا والحمد لله تعالى
فاخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى قال
نزلت في بعض الاسفار ايام التعلم مسجدا وكنت متجردا على عادة اوليائنا
فوسوس لي الشيطان بان هذا مسجد بعيد من الناس فلو صرت الى مسجد يلي الناس
لراك احد فقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا ههنا وعلي عهد الله ان لا اكل
شيئا الا الحلوا ولا اكله حتى يوضع في فمي لقمة لقمة فصليت العشاء واغلقت
الباب فلما مضى صدر من الليل اذا انا بانسان يدق الباب ومعه
سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوز معها شاب وبيده حلت
ووضعت بين يدي من الخبيص وقالت هذا الشاب ولدي صنعت له هذا الخبيص
وجرى منه كلام فحلف لا ياكله حتى ياكل معه رجل غريب او قالت هذا الغريب
الذي في المسجد واخذت تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة فهذه واشباهها
في مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم الشيطان فان لك في ذلك
فوائد ثلاثا احدها ان تعلم ان الرزق لا يفوت من قدر له بحال
والثانية ان تعلم ان امر الرزق والتوكل امر مهم جدا وان للشيطان
غوائل ووساوس عظيمة حتى ان مثل اولئك الائمة الزهاد لم يتخلصوا

من ذلك ولم ييأس منهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات
التي بقدر حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه الصفات ولعمري ان من جاهد النفس
والشيطان سبعين سنة لا يأمن ان يوسوس له كالوسواس للمبتدي
من العبادة بل للغافل لم يجتهد ساعة في الحضر ولو ظفر به فضحه
واهلكه هلاك الغافلين ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالث ان تعلم
ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحماً ودماً
وبدناً وروحاً مثلك بل كانوا اخف ابداناً واضعف اركاناً وادق
عظاماً منك ولكن كانت قوة العلم ونور اليقين وهمة امر الله حتى
قووا على مثل تلك المجاهدات البالغة والقيام بحق تلك الطاعات
فانظر لنفسك رحمك الله تعالى وايانا وداوم ما في هذه الدار
لعلك تفلح ان شاء الله تعالى

في نكتة تتعلق
بدفع العوارض ومن الجزء ذكر التفويض والصبر

بعد هذه التفويض الجملة ان نجرد لك نكتاً وجيزة وحده منها الحديث
بمكنت من القلب اذا تذكرتها تكفيك مؤونة هذا الباب
وتدعك على واضح من الحق ان تأملتها وعملت

والله الموفق ان تعلم ان الله عز وجل ضمن رزقك في كتابه وتكفل
لك به فما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا ان يضيفك الليلة والعشية
وانت تحسن الظن به انه صادق لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك
سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي مستور عندك بظاهره عفيف في معاملته
الست تثق بوعده وتطمئن بقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالاً
عليه فما لك وقد وعدك الله جل جلاله وضمن لك رزقك وتكفل لك به بل
اقسم عليه في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه
ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك وتهتم فيا لها فضيحة لو رأيت
ويا لها من مصيبة لو علمت وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
ان طلب رزق الله من عند غيره وليصح من خوف العواقب امناً ورضي
بصرف والكاف مشركاً ضميناً ولا يرضى بربك ضامناً ولعمري تجد هذا الامر
الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله من سلب المعرفة والدين ولهذا
قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيجب
مؤمن يهتم لامر دينه عند النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم الثانية انك تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك من كتاب
الله تعالى واخبار رسوله صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتغير
ولا تتبدل فان انكرت العلم وجوزت بعضها فذاك باب الكفر

نعوذ بالله وان علمت انه حق لا يتغير فاي فايدة في الاهتمام والطلب
الا الذل والهوان في الدنيا والشدة والخسران في الاخرة ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر حوت النور رزق فلان بن فلان
فلا يزداد الحريص الا جهدا وفي مثل ذلك يقول شيخنا رحمه الله تعالى
ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل في عزك رزقك
بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة حسنة مقنعة للرجال الثالثة ما سمعت
شيخي الامام الحكيم الاستاذ رحمهما الله تعالى انه كان يقول ان مما يقرب في
امر الرزق اني تذكرت وقلت للنفس اليس انما الرزق للحيوة والعيش وهي تموت
ما يصنع بالرزق فاذا كان حيوة العبد في خزانة الله تعالى وبعد
بيده ان شاء يعطي وان شاء يمنع وهو غيب عني موكول الى الله عز وجل
يدبره كيف يشاء فانا ساكت النفس بذلك النفس بهذا فهذه
نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق الرابعة ذكرنا في هذا الفصل
ان الله عز وجل ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق
المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة
وانما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة
الله وتوكل عليه سبحانه في تحقيق الاسباب فلا يعبا
بذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة الامر ان الضمان للقوام

التسليم والتوكل

البنية والتوكل على الله سبحانه انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر في الله تعالى عز وجل من
المعنى وان الله تعالى لا محالة يمد بالقوى ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل
وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء ان شاء ان
يشاء ان يقيم بنية عبده بطعام او شراب او بطين او تراب او بتسبيح وعبادة
وتهليل كالملائكة والشياء دون هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام
والقوة للعبادة وان الاكل والشرب وشدة الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار
بالاسباب اذن ولهذا المعنى قوي الزهاد والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام
فمنهم من لم ياكل عشرة ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوة
ومنهم من يستف الرمال فيجعله الله عز وجل غذاء له نحو ما ذكر عن الثوري
رحمه الله تعالى انه نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل
وقال ابو معاوية الاسود رايت ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى ياكل الطين
عشرين يوما وعن الاعمش قال ابراهيم التيمي رحمهما الله تعالى ما اكلت
منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا ان انا ما اشتديت على
عنقود من عنب فاكلته وانا اشتكي بطني قلت انا فلا تعجبن من ذلك فان
الله عز وجل القدرة على ما يشاء ومن امر نفسه تراه لا ياكل شهرا او اكثر
حسب بعيش وامر نفسه على كل حال اضعف نفسا وارق طعاما من الصحيح
القوي واما الذي يموت جوعا فلذلك اجل حضره كالذي يشعو

ونحوه في العبد بلغني عن ابي سعيد الخراز رحمه الله تعالى انه كان حالف مع الله تعالى ان لا

يطعمني في كل ثلثة ايام فدخلت البادية فمضت على ثلثة ايام ما طعمت

فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا با

سعيد ايما احب اليك سبب او قوة قلت لا الا القوة فقمت من وقتي

استقللت فمشيت اثنى عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الالم لذلك فاذن

لما راى العبد احتباس الاسباب عنه وعلم ان التوكل على الله عز وجل

فليستيقن ان الله عز وجل مده بالقوة فلا يضجر لذلك بل حقه

ان يشكر الله عز وجل على ذلك شكرا كثيرا فان المنة والصنع اللطيف

اذا رفع عنه المؤونة واعطاه المعونة وحصل له على غير العادة واراه

طريق القدرة ان شبه حاله بحال الملائكة ورفعه حاله الى حال الانبياء

والائمة في تلك الكرامات فتامل هذا الاصل الكبير نعم الربح

العظيم ان شاء الله تعالى فان قيل ولعلك ان تقول انك اطنبت في هذا

الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول نعم الله تعالى انه القليل

في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شيء في

العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية

فهذا اهم ما في هذا الشان فعليك ان تتمسك بهذا الكلام وتراعي

حقه والا فهو المقصود المعزول والله يهديك على بصيرة

على

هو

علماء الآخرة العارفين بالله سبحانه لا اله الا هو الهم فوضوا امرهم على التوكل

على الله تعالى والتفرغ لعبادة الله عز وجل وقطع العلائق كلها فلم يصنفوا

من كتب ولم اوصوا من وصية وقرض الله عز وجل لهم اخوانا من السادة واصحابا

بنسبتهم من الخير المحض ما لم يتمن الطائفة من الطوائف الامر الازمان والكرامة

على اصول غير مستقيمة وما زلنا اعزة ما دمنا على منهاج ائمتنا نخرج من معابدنا

ومدارسنا كل حين اماما في العلم كالاستاد ابي اسحاق وابي حامد وابي الطيب وابن

فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة واما صديق في العبادة كابي اسحاق

الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن فاق الانام علما وزهدا

حتى ضعف القلوب بعضنا وتلخبطنا من العلائق التي جرها اكثر من فقهها فتراجعت

الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات

فلا يكاد يصفو لاحد منا عبادة او يحصل له علم وحقيقة وان اللمعة التي اظهرنا

الان ليست ممن بقي على منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث

المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين

رضي الله تعالى عنهم اجمعين فهم كما قيل فاصبحوا الايام الا

تعففا وما وجدوا من حيث سددهم بدا فاصبح صبح يقول

لاهل ولاية الرشيد السداد قد جعلوا العقد لحلّ عقد الضمير من كل ضاير
وما حللت الايام من عقد همّ عقدا وكنا في الصدر الاول ملوكا وعزّ ناموسه
وكنا وسادا فصرنا رحالة وليتنا لا انقطع عن الطريق مرّة والله المتعال على
المصائب والمسلوب ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم   فتامل فيه اصلين احدهما انك
تعلم ان الاختيار للاصلح الالهي كان عالمًا بالامور بجميع جهاتها واصقاعها
فظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والاشد ان تختار لهما والهلاك
على ما فيه الخير والصلاح الا ترى لو قلت لمبدوي او قروي القديم
هذه الدراهم وميّز ما هي جيّدها وردّيها فانه لا يهتدي لذلك
ولو قلت لسوقي الجوهري صيرفي ميّز ما بعثت اليك فلا تنام اذن الا بان توضع
تلك الدراهم على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص
والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح
الا الله رب العالمين فلا يستحق اذن احد ان يكون له الاختيار
والتدبير الا وحده لا شريك له ولذلك يقول عز من قائل
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال

عز وجل وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وحكي ان بعض الصالحين
قيل له قال الله عز وجل سل تعط وكان موقوفا فقال اني عالم بجميع الوجوه
سل تعط انني اعلم ماذا يصلح لي فاساله ولكن اختر لي انت فهذه بعده
والاصل الثاني ما يقول لو ان رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر
جميع ما تحتاج اليه من مصالحك ففوض الامور كلها الي واشتغل انت بشانك
الذي وهو عندك اعلم اهل زمانك واحكمهم واتقاهم وارحمهم والطفهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتمتن منه بالبر منه وتقدم له
اوفر شكر واجمل ثناء ثم اذن اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه لذلك
بل تثق وتطمئن الى تدبيره وتعلم انه ما يختار لك الا ما هو الخير وما ينظر لك الا الاصلح
كيف ما كان الامر بعد ما وكلت اليه الامر وضمن ذلك فما لك اذن لا تفوض
الامور الى رب العالمين سبحانه وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض
وهو اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واغنى كل
غني فيختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه
فهمك وتشتغل انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك فان
اختار لك امرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك واطمانيت

تعط

فلا تضجر

والطمانينة اليه وكيف ما كان هو الصلاح والخير فتامل راشدا ان شاء الله تعالى وبالله

التوفيق فتامل فيه اصلين مقنعين لا مزيد عليهما الاصل الاول

ما في الرضا من الفايدة في الحال والمال اما الفايدة الحالية ففراغ القلب وقلة الهم

من غير فايدة ولذلك قال بعض الزهاد واذا كان القدر حقا فالهم فضل واصله

الخبر الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ليقل همك

ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن هذا هو الكلام الجامع النبوي البالغ في قلة

اللفظ وكثرة معنى واما الفايدة في المال فثواب الله عز وجل ورضوانه

قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وما في السخط من الهم والضجر في الحال والوزر

والعقوبة في المال والاخرة بلا فايدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف

بهمك وسخطك كما قيل ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ولك الامان

من الذي لم يقدر فالعاقل لا يختار الهم بلا فايدة مع الوزر والعقوبة

على راحة القلب وثواب الجنة ما في السخط من عظيم الخطر

والضرر في الكفر والنفاق الا ان يتداركه الله عز وجل

فتامل في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما هو الاول

فاقسم عز وجل بسخط قضاء الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من
سخط قضاء الله تعالى وروينا ان الله تعالى يقول من لم يرض ولم يصبر على بلائي ولم يشكر
على نعمائي فليتخذ الها سوائي فلذلك كانه يقول جل الا ارضاني ربا حتى يسخط قضائي
فليتخذ ربا اخر يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن يخاف عن الله جل
وعلا ولقد صدق بعض السلف اذا قيل له ما العبودية والربوبية فقال
الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية ولا معها
عبودية فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه
فانه دواء مر وشربة كريهة مباركة تجلب كل منفعة وتدفع
عنك كل مضرة واذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل يكره نفسه
على شربه وتجرعه ويعض على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة راحة
سنة فاما المنافع التي تجلبها الصبر فاعلم ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر
على المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة
الصبر في هذه المواطن الاربعة يحصل له الطاعات ومنازل الاعمال
وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في المعاصي وبلاياتها في الدنيا وتبعاتها
في الاخرة ثم لا يشتغل بطلب الدنيا وما فيها الشغل في الحال والتبعة في المال

ثم لا يحبط اجره على ما اصابه وذهاب فحصل اذن لسبب الصبر ومنافعها
وثوابها والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله عز وجل وتفضيل ذلك
امر لا يعلمه الا الله عز وجل واما دفع المضار فبرجيه اولاً مؤنة الجزع ومعاناته
في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى واما ان يهو ضعف وسلك طريق الجزع فانه
كل منفعة وكل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة او لا
يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى منزلة
من يبغيه فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر على معصية فيقع فيها او عن فضول
فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع فيفوت العوض لسبب
ذلك فيكون له مصيبتان وفوت الاجر والعوض وحلول الكرب وحرمان
الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة واي فايدة في شيء
يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود فاذا فاتك
احدهما فلا يفوتنك الاخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضي الله تعالى
عنه عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور
وان جزعت جرت عليك المقادير وانت مأزور ثم اقول الجملة
الامران قطع القلب عن العلايق المالوفة ومنع النفس عن العادات

الراسخت بالتوكل المحض على الله تعالى وترك التدبير في الامور وتفويضها على
الله تعالى من غير جزع بها اما هو البر فيها وكبح النفس عن السخط والجزع مع نشاط النفس
اليه واكراهها على لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفورها عن ذلك لامر
وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة
واحوال سديدة مسعودة وما تقول في الوالد المشفق الغير اذا امتنع ولده العزيز
رطبة او تفاحة ياكلها وهو اربد ويسلمه الى المعلم الغليظ السائس ويحبسه
طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام ليحجمه ويوجعه وتعلقه اترى انه
منع ذلك من بخل فيه كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم او هوان
هذا الولد كيف وهو يبذل جميع ما في يده او قصد بذلك الغاية والايذاء
لبغضه كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو هنت عليه شيخ
لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك وانه بهذا التعب
القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم او ما تقول في الطبيب الحاذق
الناصح المحب اذا امتنع المريض الدنف شربة ماء وهو عطشان
يتقطع كبده وسقاه شربة اهليلج كريهة تحرج عن ذلك
نفر وطبعه اترى ان ذلك منه معادات وايذاء كلا
بل نصح واحسان لما علم يقينا لم علم يقينا الا في الحلاوة

الا في اعطائه شهوة ساعة هلاكه او عطبه راسا وفي منع ذلك
شقوة وبقاوة فتامل ايها الرجل اذا احبك الله تعالى حماك عنها
او وردها فسلم يقينا انه يملك ما يريد ويقدر على الضالة المكب
وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شيء فلا عدم وبلا حزن ولا الحاجة
ولا بخل ولا اخفار تعالى عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء
واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا
بالحقيقة انه لم يمنعك الا الصلاح واختيار لك كيف وهو الذي
يقول خلق لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذي جاد عليك
بمعرفته وهي التي تتلاشى في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور
ان الله عز وجل يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا
كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واذا
ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك
عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤف رحيم الم تسمع
قوله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها فاذا علمت هذا علمت هذا علمت انه لم ينزل
بك هذه المكروه الا لصلاح لك جلت اياديه وهو عالم

بذلك

90

بذلك
ولهذا تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اهل عبادته حتى
يقول عليه السلام اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول صلى الله
عليه السلام وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل
فالامثل فاذا رايت الله عز وجل يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك
الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان على وانه
يسلك بك طريق اوليائه وانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع
قوله عز وجل فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما
يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك منازل
الابرار والاخرة عنده فلم تر من عواقب حمده ومواهب كرمه والله
عز وجل ولي التوفيق — في القناعة والرضا بالمقدور
في الجملة اذا علمت ان الله جل جلاله الملك الضمان رزقك
الذي لا بد لك منه في بقائك وفي قيامك بعبادته وانه القادر
على ما يشاء وهو البصير بجميع حالاتك عند ذلك علمت انه الحق
وعده الصدق وسكن قلبك لذلك واضربت عن ذكر العلائق
والاسباب وتعلق قلبك بها اذ العلائق لا يعينك ولا يكفيك
دون الله عز وجل فانه يعطي بسر الكلها وبشرها ثم هو الذي
يدبرها ويهيئها ثم هو الذي يجعل فيها نفعها ويدفع عنك ضررها

وضرها وهو تعالى يغنيك ويكفيك ونهيا اذا شاء فالامر كله بيد الله
وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غير ولذلك ننهى عن التدبير في امور
خاصة من يدبر السماء والارض وريح نفسك عنه لانه يعلم
علمك وبصرك ومن امر يكون غدا او لا يكون وانه كيف يكون وكيف
يكون ولو ادنى فيه الاشغال قلبك وتضيع وقتك ولعله يكون لك
امور لم يخطر ببالك فيكون ما بقي من فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت
العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل خسرانا تندم عليه وتعب فيه لكان
شغل القلب وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد
سبقت مقادير الاله وحكمه فارح فوادك من لعل ومن لو
سكون ما هو كائن في وقته واخو الجهالة متعب محزون فلا
ما تختاره لنفسك في الجملة بالغني لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية لقدرته
حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان بهذه الصـ
فحقيق ان يتكل عليه ويفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض
ويهد لك توطن قلبك على ان يقضي الله جل جلاله لك ما هو الا
وفق والاصلح لك وان كان ذلك لا يبلغ علمنا لقضيته وكي
يقول بالفعل المعدوم كائن لا محالة فلا فائدة في السخط

والخيرة فيما يصنع الله تعالى فلا وجه للسخط الست تقول لمن رضيت بالله ربا فكيف لا ترضى
بقضائه وقضائه من شأن الربوبية وحكمها فعليك بالرضا وكذلك اذا اصابتك
مصيبة وحل بك مكروه فتراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع
ولا تظهر منك شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة الأولى فان الشأن هنالك والنفس
مساعدة جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول بالنفس فانه قد رفع الله حكمة
في وقوعها وقد دفع الله سبحانه ولعل ما هو اكثر منها فان انواع البلايا
في خزائنه كثيرة وان هذه ستنقضي ولا تبقى وانها سحابة ستنقشع فتحلى بالنفس
قليل تجدي لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دافع للنازل
ولا فائدة في الجزع والمصيبة في الحقيقة مع الجزع والصبر فتشغل لسانك
بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله جل جلاله من الاجر وتتذكر
صبر اولي العزم على المصائب العظام من الانبياء والاولياء الاخرة على الله
عز وجل فاذا حبس حظك الدنيا في وقت فتعوذ بالنفس هو اعلم بالحال
وارحم بك واكرم بك وانه الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته
وانا عبده العارف الواحد ساوى عنده رغيفا الفقراء واعلم
بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنده الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا

فاصبر فقليلا ترى العجب لطيف صنعه اما سمعت قول القائل وقع صنع ربك
سوف تاتي بما تهواه من فرج قريب ولا تياس اذا ما نابك خطب فكم
في الغيب من عجب عجيب وقول الاخر اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم
نشرح فعسر بين يسرين اذا فكرتها فافرح واذا اجريت هذه الاذكار
ونحوها وواظبت عليها بالتكرير والتميز فان ذلك يهون عليك اذا
كانت لك همة واجتهاد زمانا بغير طائل ولقد دفعت هذه العوارض الاربع
عن نفسك وكفيت مؤنتك فصرت عند الله من المتوكلين المفوضين الراضين
بقضائه الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا
وعظم الثواب في الاخرة في العقبى وحلبات القدر والجنة عند رب العالمين فتجمع
خير الدارين وليستقيم لك طريق العبادة اذ لا عايق ولا شاغل ولا غير
حينئذ وقطعت هذه العقبة العسرة والله سبحانه المأمول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه فان الامر كله بيده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم عليك بالاخرى بالسير اذا استقام
لك الطريق وسهل السبيل وارتفعت العوائق وزالت العوارض
ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما

حضهما على همها اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما للزجر عن المعاصي
فان هذه النفس الامارة بالسوء ميالة الى الشر طامحة الى الفتنة ولا تنتهي عنهما ذلك
الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليس في طبعها حركة يحملها الوفاء ومنعها الحياء
الجفاء وانما هي كما قال القائل العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة فالتدبير في امرها
ان تقرع ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا ونحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه
دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي
فنار جهنم اشد حرا من هذه اجيفة بالليل وبطالة بالنهار والثاني لئلا تعجب
بالطاعة فتهلك بل تقمعها بالذم والعتب والنقص لما فيها من الاسواء والاوزار التي
فيها من ذوي الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو اخذني
الله وعيسى بما كسبت يدانا لعذبنا الله عذابا لم يعذبه احدا واشار بما جمعه
وعن الحسن انه كان يقول ما يؤمن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فقطع
عليه باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب
نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين ان تدخليها دونه
هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما
تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها النفس عليها

في تذكيرها بما لا يعجب بطاعة او ينفع من معصية وبالله العصمة والتوفيق واما الرجا فانما يذكر من استشعاره الامرين احدهما الباعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من جانب الخلق من النفس منطبع مشاهد والثواب الذي يطلب به عن العين غائب وامد الوصول اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلما تنبعث النفس للخير ولا تنبعث فيه حقه ولا تهتز له الا من هو الرجا القوي من رحمة الله تعالى والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكرم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله تعالى الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع عن الذنوب والرجا يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني يهون عليك احتمال الشدايد والمشقات واعلم ان من عرف ما طلب هان عليه ما يبذل ومن طالب لشي وعرف فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال ما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احتمل الصبر على احتمال محنته حتى انه يجد في تلك المحنة ضربا من اللذة الا ترى مشتار العسل لا يفكر في لسع النحل لما يتذكر من حلاوته والاجير لا يعبا بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار

الصابع

الصادق الزاهد ما يتذكر من اخذ ورهبين بالعشي وان الفلاح لا
يتفكر في مقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقا والكد طول السنة
لما يتذكر من البيدر وان الغلة وكذلك يا اخي العباد الذين هم
اهل الاجتهاد واذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها وانواع نعيمها
من قصورها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وما
اعد الله جل جلاله لاهلها هان عليهم ما احتملوه من تعب في عبادة
او فاتهم في الدنيا من لذة ونعمة او نالهم من ضر ومشقة ولقد حكي عن
اصحاب سفيان الثوري رحمه الله تعالى لاموه فيما كانوا يرون من خوفه
واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد
نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال سفيان رحمه الله تعالى
كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى
لهم نور تضيء له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور من عند الله
الكريم سبحانه فيخرون ساجدين فينادون ان ارفعوا رؤوسكم
فليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه صاحبها ثم
انشد يقول   ما ضر من كان الفردوس مسكنه   ما تحمل

من بوس وافتقار تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا الى المساجد يسعى من الجمار

بالنفس مالك من جبر على النار قد خاف ان يقتلني من العدا باد قلبه

انما لما كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن

المعصية وذلك لا يتيسر مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بعد ترغيب وترهيب

وترجية وتخويف فان الدابة الحرون يحتاج الى قائد يقودها والى سائق

يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما يضرب بالسوط من جانب ويلوح لها بالشعير

من جانب اخر حتى تنهض من ذلك المكان وتتخلص مما وقعت فيه

وان الصبي العرم لا يروح الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من

المعلم فكذلك هذه النفس كدابة حرون وقعت في مهواة الدنيا والخوف

فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها وقائدها وانها الصبي العرم يحمل الى الكتاب

العبادات والتقوى فذكر النار والعقاب تخويفها وذكر الجنة وثوابها حببها

وغيبها فلذلك يلزم العبد الطالب للعبادات والرياضة ان يشعر النفس

بالامرين الذين هما الخوف والرجاء والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك و

لهذا المعنى الى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد

وبالغ في كل واحدة منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا اجر عنه وذكر من العقاب

ما لا صبر عليه الاليم فعليك اذن بالتزام هذين الامينين لتحصيل مرادك من العبادة وليسهل
عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وما حكمهما

فاعلم ان الخوف انما والرجاء عند علمائنا رحمهم الله تعالى يرجعان الى قبيل الخواطر وانما المقدور
للعبد مقدماتهما والخوف رعدة تحدث في القلب عند ظن مكروه يناله والخشية نحوه ولكن
الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراءة ولكن قد يقابل بالامن فيقال خائف
وآمن وخوف وامن لان الامن الذي يجري على الله تعالى والحقيقة ان الجراءة تضاده ومقدمات
اربع الاولى ذكر الذنوب الكبيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا في المظالم وانت
لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة
لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى
عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء فهو ارتياح القلب لمعرفة فضل الله تعالى
والاسترواح الى سعة رحمة الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور
للعبد ورجاء هو مقدور وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد
يسمى ايضا ارادة الخاطرة بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب
هو الاول وهو التذكر على حسب الارتياح والاسترواح وضده
اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك

وهو معصية محضة وهذا الرجا فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن الكبائر
الا به والا فهو نفل بعد اجتناب الجناية في فضل الله وسعة رحمته سبحانه وبعد فبواعث
الرجاء اربع الاول ذكر سوابق فضله اليك من غير عمل او شفيع والثانية
ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاقك
اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شي واصغر امر والثالثة
ذكر كثرة نعمه عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف
من غير استحقاق والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وانه الرحمن
الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذه
الانواع من الاذكار افضى بك ذلك الى الاستشعار الخوف والرجاء في كل
حال والله ولي التوفيق بمنه. فعليك ايها الرجل
بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحد الرعاية فانها عقبة
دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك ان الطريق ههنا بين
طريقين مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن
والثاني طريق الياس وطريق الرجاء والخوف وهو الطريق
العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب الرجا عليك

حتى فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون

وان غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق الياس ولا ييأس

من روح الله الا القوم الكافرون فان كنت راكبا بين الخوف والرجاء معتصما

بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم التي هي سبيل اولياء الله تعالى واصفيائه الذين

ومنهم بقوله تعالى انهم يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

فاذن ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق الامن والرجاء وطريق

الياس والقنوط وطريق الخوف والرجا ممتد بينهما فان ملت عنه بقدم

الى يمينك او الى يسارك وقعت في المهالك وهلكت مع الهالكين

ثم الشان في الطريقين الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر اعدادا واسهل

سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت

من سعة رحمة الله تعالى وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك

معه خوف فتتكل مع ذلك بمرة وتامن وان نظرت من جانب

الاخر من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة الله وكثرة

هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه

ما لا يكاد معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فتحتاج الى سواء الرحمة

فقط حتى نقنط ونياس بل ننظر الى هذه والى هذا جميعا ونأخذ من هذا البعض
ومن هذا البعض ونركب بينهما طريقا وفقا ونسلك ذلك لنسلم فان طريق
الرجا المحض سهل واسع عريض وعاقبته تؤدي الى الامن والجراءة وطريق
الخوف واسع عريض وعاقبته تؤدي الى الضلالة والطريق العدل بينهما الخوف
وان كان وفقا عسيرا فانه سبيل سالم ومنهج بين يؤدي الى الغفران والاحسان ثم
الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه اما تسمع قوله في اوصافه
النبيين يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتدبره تتنبه الامر الحق بالهويت والله الموفق
ثم اعلم انه لا ياتي ذكر سلوك هذه الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة على الخير
باجتناب المحبوب عندها والكتاب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ بثلثة
اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر الطافه سبحانه
في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث
ذكر جزائه العباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى
صحف كثيرة ولاجلها صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذه الكتاب
الى كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله تعالى   في الطافه سبحانه

96

تيسر ايها الرجل في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب
والوعيد تو التخويف ثمن ايات الرجا قوله تعا لا تقنطوا من
رحمة الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب
الا الله غافر الذنب قابل التوب وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيات كتب ربكم على نفسه الرحمة
ورحمتي وسعت كل شي فاكتبها للذين يتقون ان الله بالناس
لروف رحيم وكان بالمومنين رحيما فهذه ونحوها آيات
الرجا ومن ايات التخويف والياسة قوله تعا يا عباد فاتقون
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدي
ليس امانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سو يجز به
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هبا منثورا نسال الله تعالى ان يمنا برحمته ومن الا
يات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجا قوله تعالى نبي
عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي

هو العذاب الأليم ثم قال في عقبه ذي الطول لا اله الا هو لئلا يستولي عليك الخوف
مرة واعجب من ذلك قوله ويحذركم نفسه ثم قال في عقبه والله رؤوف بالعباد
واعجب من قوله من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر
ونحوه ليكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا تكون الخشية تطير قلبك مرة فتكون تخويفا في تأمين
وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر
الامير الكريم والمراد ذلك ان تكون الطريق عدلا ولا تذهب الى الرجاء والقنوط
جعلها الله تعالى اياكم من اهتدى بهذا الذكر الحكيم برحمة العالمين ما فيه انه الجواد
الكريم فمن افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فلولا ان ابليس جند الله
ثمانين الف سنة فلم يترك فيهما يلي موضع قدم الا وسجد الله تعالى سجدة ثم ترك له
امرا واحدا فطرده عن بابه وصيره بوحدته عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم
يوم الدين واعد له عذابا اليما ابد الآبدين حتى روي ان الصادق الامين
عليه صلوات رب العالمين رأى جبرئيل متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ
الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم آدم صفيه ونبيه صلوات
عليه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم
الى جواره انبسطه واكل واحدة لم يوذن له فيها فنودي الا لا تجاورني

الله
أشده

وفخم

سوا من خطيئة اهبطوه وامر الملائكة الذين حملوا سريره ان يخرجوه من جوار الكريم
حتى اهبطوه بالارض فلم يقبل توبته فيما روي حتى بكى مائتي سنة ولحقه من الهوان
والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين
عليه السلام الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير
وجهها فاذا نودي فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
حتى روي في بعض الاخبار انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله عز وجل
اربعين سنة ثم ابراهيم الخليل عليه السلام لم يكن منه الا هفوة واحدة
فكم خاف وتضرع فقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي
انه كان يبكي من شدة الخوف فيرسل الله تعالى عليه الامين الجبرئيل عليه السلام
فيقول يا ابراهيم هل رايت معذبا خليله بالنار فيقول يا جبرئيل اذا ذكرت
خطيئتي نسيت خلته ثم موسى عليه السلام لم يكن منه الا وكزة واحدة على غرة
كم خاف وتضرع واستغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم غير
زمانه بلعم بن باعور كان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولم يكن له الا واحدة مال الى الدنيا واهلها

على ذلك

فكان

ميتة واحدة وترك توبة من اوليائه حرمه سببه معرفته وجوده منزلة
الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
فاوقعه في بحر الضلال واهلكه الى الابد حتى سمعت بعض الفقهاء
يقول انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف
محبرة للمتعلمين الذي يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف
كتابا ان ليس العالم صانع نعوذ بالله تعالى منها ثم نعوذ بالله تعالى من
سخطه وعذابه الاليم ولطبع خذلانه الذي لا طاقة لنا به
فانظر حب الدنيا وشوقها ماذا تجلب للعلماء خاصة فينبغي فان
الامر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم
بالخير اعمالنا واقوالنا عشرا ثنا فما ذلك عليه بعزيز ثم ان د
اود عليه السلام خطيئته في ارضه اذنب ذنبا واحدا
ابكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه و
قال الهي ما ترحم لبكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت
ذنبك وذكرت بكاءك فلم تقبل توبته اربعين يوما
وقيل اربعين سنة ثم يونس فسجنه في بطن الحوت

98

بحث قعر البحار اربعين يوماً وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا
صوت معروف في موضع مجهول قال تعالى ذلك صوت عبدي
يونس فتشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله بحير اسمه فقال ع
ذو النون فنسبه الى سبحته ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا
انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته
ومنه فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذ
موم فانظر في هذه الاشارة ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى
سيد المرسلين اكرم خلقه عليه يقول له فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان صلى الله عليه وسلم
يقول شيبتني سورة هود واخواتها قيل عنى هذه الاية واشكالها
في القران وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من عليه بالغفران
وقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وكان بعد ذلك يصلي الليل
حتى تورمت قدماه فيقولون العفو يا رسول الله وقد غفر الله

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان

عليه السلام يقول لو اني وجب لي اخذ بما كسبت ما نال نعيبنا غدا ابا اليوم

لم يزيه فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان عليه السلام احدا من العالمين

وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك

لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير مولى

من خرامة كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يان للذين امنوا

ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية ثم وضع في هذه الاية مع كونه رحمة

الحدود والسياسات العظيمة والاداب حتى كان يونس بن عبيد يقول الان

تاوه من قطع لي خمسة دراهم خير منك ان يكون غدا عذابه هكذا

نسال الله تعالى الرحيم الكريم ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم

الراحمين واما من جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة

ولا حرج ومنه الذي يعرف عند بيتها اتو يحسن وصفها فانه

الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين

كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى ان سحرة فرعون

للاين جاءوا لحربه وجاءوا الحرب وحلفوا بعزة عدوه فما قالوا

الہا امنا رب العالمین عن صدق القلوب کیف قبلہم ووہبلہم جمیع
ما سلف ثم کیف جعلہم رؤس الشہداء فی الجنة ابد الابدین بعذا
مع من عرفه ووحده ساعة بعد ذالک الکفر والضلال والف ذنب فکیف
حال من افنی عمره فی توحیده ولا یری کذلک املا فی الدارین بعمره لا
تری اصحاب الکہف وما کانوا من الکفر طول اعمارہم اذ قالوا ربنا رب
السموات والارض لن ندعو من دونه الہا والتجؤا الیه کیف قبلہم ثم
اعزہم واکرمہم فقال ونقلبہم ذات الیمین وذات الشمال وکیف اظہر
لہم الرحمة والبسہم المہابة والہیبة للہیبة حتی یقول الاکرم الخلق علیه لو
اطلعت علیہم لولیت منہم فرارا ولملئت منہم رعبا کیف اکرم کلبہم
اتبعہم حتی ذکره فی کتابه العزیز مرات ثم جعله معہم فی الدنیا محبوبا ویدخله الجنة
فی الاخرة مکرما فہذا فضل مع کلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه
ایاما معدودة من غیر عبادة او خدمة فکیف فضل مع عبده المؤمن الذی
خدمه ووحده وعبده سبعین سنة ولو عاش سبعین الف سنة کان
قاصدا للعبودیة اما سمعت کیف عاتب ابراہیم علیه السلام فی دعائه علی
المجرمین بالہلاک وکیف عاتب موسی علیه السلام فی امر قارون فقال

استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه
وكيف عاتبت يونس عليه السلام في شان ما بك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة
وايبسها في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم
وصرف عذابه العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم فيما روي انه دخل في باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال لم تضحكون الا اريكم
تضحكون حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى وقال جاءني جبرئيل فقال يا محمد ان
الله يقول لا تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله يقول ارحم
بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه السلام ان الله تعالى
مائة رحمة في واحده قسمها بين الجن والانس والبهايم منها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر
منها تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة واذ قد عطاك من الرحمة الواحدة
كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة
ثم معرفة السنة والجماعة الى ساير ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فرجوا
من فضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام فيجعل
من تسعة وتسعين رحمته لك الحظ الاوفر فسال الله سبحانه ان لا يخيب امالنا
من فضله العظيم انه السيد الكريم الجواد الرحيم

في ذكر ما وعد واوعد

من المعاد فليتذكر في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار وما في كل مقام من الخطر للمطيعين والعاصين والمجتهدين اما الموت
فاذكر فيه رجلين احدهما ما روي عن ابي بشير انه قال دخلت
مع الشعبي على رجل مريض يعوده وهو لما به وعنده رجل يلقنه لا اله الا
الله محمد رسول الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال ان
يلقني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
فقال الشعبي الحمد لله الذي خلص صاحبنا والاخر ما حكي ان تلميذ الفضيل حضرته
الوفاة فدخل عليه الفضيل بن عياض وجلس عند راسه وقرا سورة يس
فقال يا استاذ لا تقرا هذه السورة فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله
فقال لا اقولها لاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله
وجعل يبكي اربعين يوما ولم يخرج من البيت ثم راه في النوم وهو يسحب
الى جهنم فقال باي شيء نزع الله تعالى معرفته عنك وكنت اعلم تلامذتي
قال بثلاثة اولها النميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت
لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة
فجئت الى الطبيب فسالته عنها فقال تشرب كل سنة قدحا من خمر

فان لم يتهيأ تفصيل بعض تلك العلة فكثرة الكثرة نعوذ بالله من السخط الذي لا طاقة
لنا به ثم اذكر حال رجلين اخرين احدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك
رحمه الله انه لما احتضر نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون
وسمعت امام الحرمين رحمه الله يحكي عن الاستاذ ابي بكر رح انه قال كان
لي صاحب ايام التعليم وكان متعبدا اكثر الجهد في التعلم لقاء متعبدا وكان لا يحصل
له مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء
من الرباط ولم يدخل البيت المرضى وكان يجتهد في مرضه فاشتدت الحال
وانا بجانبه فبينا هو اذ شخص ببصره الى السماء ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا
فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله تعالى واما الاخر فنحو ما روي
عن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار
بين يدي اكلف الصعود عليهما فسالت فقالوا كان له مكيلان يكيل باحدهما
ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم
سالت الرجل فقال ما يزداد الامر الا عظما واما الفرق في الحال
بعد الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين
قال رايت سفيان الثوري رحمه الله تعالى في النوم بعد موته فقلت

كيف حالك يا ابا سعيد فاعرض عني وقال ليس هذا زمان الكلام فقلت كيف حالك
يا سفيان فانشا يقول نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك
يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد والرجل الثاني ما ذكر
ان بعضهم رئي في النوم شاحب اللون مغلولة يده الى عنقه فقيل له ما فعل
الله بك فانشا يقول شعر تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا
يلعب وحال آخر لاحدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان ابي استشهد
ولم اره في المنام الى ليلة توفي عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة حسبكم
لا سلم عليكم واما الاخر ما روي عن هشام بن حسان انه قال مات لي ابن
حديث فرايته في النوم فاذا هو شيب فقلت يا بني الشيب قال لما قدم علينا فلان
زفرت جهنم زفرة لقدومه لم يبق احد منا الا شاب نعوذ بالله الرحيم
من عذابه الاليم واما القيامة فتامل قول الله يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق
على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم
لا يخلي من عزه ان يمشي الى الجنة برجله وآخر اذا يخرج من

من قبره فاذا الزبانية والملائكة حاضر لا يخلون الشقي ان يمشي
الى النار بل يسحب على سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله
من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها
اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيمة حتى اتوا على حيطان الجنة
فاذا رأتهم الملئكة قال بعضهم لبعض من هولاء فيقولون ما ندري
لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فياتيهم بعض الملئكة فيقول
الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون
هل قرأتم كتابكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكان ذلك دراء
كم فيقولون هل اعطيتمونا شيئاً فنحاسب عليه وفي خبر آخر ما ملكنا
شيئاً فنعمل او نجور ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي مناد
صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل الله غفور رحيم اما التسبيح
قوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة فاعظم
برجل يتنبه هذه تلك الاهوال والزلازل والوقائع وهو امن لا يدخل
قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسال الله تعالى ان يجعلنا واياكم

من اولاد السعد

من اولیک السعداد وما ذلک علی الله بعزیز واما الجنة والنار فتامل
فیهما اثنین من کتاب الله تعالی احدیهما قوله تعالی وسقیهم ربهم شرابا
طهورا ان هذا کان لکم جزاء وکان سعیکم مشکورا وقال حکایة عن آخرین
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فیها ولا تکلمون وروی
انهم یصبرون کلاما عند ذلک یتعاوون فی النار نعوذ بالله الرؤف الرحیم
من عذابه الالیم فان الامر کما قال یحیی بن معاذ رحمه الله تعالی لا ندری
ای المصیبتین اعظم افوت الجنان ام دخول النیران اما الجنة فلا صبر عنها
واما النار فلا صبر علیها وعلی کل حال فوت النعیم ایسر من مقاسات
الجحیم ثم الطامة الکبری والمصیبة العظمی فهی الخلود اذ لو کان الامر علی حال
منقطع لکان الامر هینا ولکن الشان فی ابد بلا آخر فای قلب یحتمل ذلک
وای نفس تصبر علی ذلک ولذلک قال عیسی بن مریم علیه السلام ذکر
الخلود یقطع قلوب الخائفین وذکر عند الحسن ان آخر من یخرج من النار
رجل یقال له هناد عذب الف عام ینادی یا حنان یا منان فبکی الحسن وقال
لیتنی کنت هنادا فتعجبوا منه فقال ویحکم الیس یوما یخرج فلمح وجه الامر کله
ارنی الی اصل وهی النکتة التی تقصم الظهور وتقص الوجوه وتقطع

القلوب وتذيب الاكباد وتدمي العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة
هذه الغاية التي تنتهي اليها خوف الخائفين ويبكي عليها اعين الباكين ولقد
قال بعضهم ان الغموم ثلثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر
وغم المعرفة ان لا تسلب وقال المخلصون بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة
وهو غم المعرفة وكل غم دونه سهل اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف
بن اسباط انه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك
هذا على الذنوب قال محمد ثنثا وقال الذنوب اهون على الله تعالى من
هذا انما اخشى ان يسلبني الاسلام نسال الله ربنا المنان ان لا يبتلينا
بمصيبة وان يتم علينا بفضله كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام
انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومعناها في
كتاب احياء علوم الدين فمن ثم هناك فان الخوض فيه ههنا خروج
الى الاكثار فتامل شرح الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوصف
والذكر لعلك تفلح بعون الله تعالى وتوفيقه فان قلت فاي الطريقين
اسلك طريق الرجاء فيقال له بدا لم ركب منهما فلقد قيل من غلب
عليه الرجاء صار مرجيا ومن غلب

عليه الخوف صار محمودا وامر لعاد الا ينفرد باحدهما دون الآخر

فان حقيقة الرجا الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف

الحقيقي ينفك عن الرجا الحقيقي ولذلك قيل الرجا كله لاهل

الخوف الا الامن والخوف كله لاهل الرجا الا اليائس

فان قلت فهل يكون احدهما راجح او كثرة كرا بحال

فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى واذا حرص

وضعف لا يستطيع اذا اشرف على الآخرة فالرجا اولى كذا سمعت العلماء

وذلك لما روي ان الله سبحانه يقول انا عند المنكسرة قلوبهم

من مخافتي فيكون اجاوه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه

المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم

لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة

في حسن الظن بالله تعالى والترغيب في ذلك فاعلم ان فعل حسن الظن

بالله تعالى الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته

واعلم ان ههنا اصلا اصيلا ونكتة حسنة عزيزة يغلط فيها كثير

من الناس وهو ان الفرق بين الرجا والامنية ان الرجا يكون

على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا
ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك منه رجاء وآخر
لا يزرع ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء
وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز فيقال له من اين لك
هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في
عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله تعالى يقول ارجو ان يتقبل
الله تعالى هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن
الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل وترك
الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله تعالى ورضاه
ووعده ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله تعالى الجنة والنجاة من النار
فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك
خطاء وضلال وقد قيل ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله جل
جلاله وفي ذلك يقول الحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان

او واما الهتهم امان المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم
حسنة يقول احدهم اني لحسن الظن بالله تعالى زني وكذب ولو احسن الظن
بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردبكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا منيرة
العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله تعالى
ان رحمة الله واسعة فغضب وقال رايت مني ما يدل على
القنوط ان رحمة الله قريب من المجتهدين قال جعفر فابكاني
قوله فاذن كل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد
في الطاعة والجذر عن المعصية فاليس يقول ما كان لهم حسن ظن
بالله عز وجل بلى لهم كانوا اعلم الناس بسعة رحمة الله تعالى
واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد منية
وغرور فاعتبر هذه النكتة وتامل حالهم وانتبه من رقدتك
والله ولي التوفيق   فالشكر الله
وجملة الامر اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي سبقت
غضبه ووسعت كل شيء ثم كنت في هذه الامة المرحومة

الكريمة على الله عز وجل ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم
وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه
اليك ونعمته عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة
لك وتذكرت في جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظمة
سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا يقوم له السموات
والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وعيوبك مع
دقة امره وخطر معاملته في احاطة علمه وبصره بالعيوب
والعيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوهام
وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا يكتنف بذكره القلوب تارة
تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عدله وتارة تنظر الى رحمته ورأفته
وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها فادى لك جميع
ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الناهج
القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والياس
والى ذلك فيهما مع الذاهبين والا تهلك الهالكين وشربت
الشراب الممزوج العدل فلا تهلك ببرودة الرجا الصرف

١٥٥

والا تجارة لخوف الصرف وكذلك قد وصلت إلى المقصود
غانما سيجعت في العلمين سالما وجدت النفس وقد انبعثت
للطاعة ودوامت في الحديث لسانها دائما من غير فترة
والا غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي وهي بها برة
كما قال نوق ان نوحا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر
النار طار نومه وصرت جنبها من الاصفيا الخواص العابدين
الذين وصفهم الله عز وجل انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد
خلفت هذه العقبة الخطيرة باذن الله عز وجل وحسن
توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من كريم
واجر عظيم في العقبى والله سبحانه مسؤول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم عليك يا اخي ايدك الله عز وجل وايانا بحسن توفيقه
بعدها استبان لك السبيل واستقام لك الشونشمير سعيك وصيانته

عما يفسده ويضيعه عليك وانما نومك ذلك بان فايدة الاخلاص
وذكراطنة لله سبحانه وتعالى والاجتناب عن ضده لامرين
احدهما لما في فعله من الفايدة وهو حسن القبول من الله تعالى
دون فوز الثواب عليه والا فيكون مردودا ذاهب الثواب
كله وبعضا على ما روي في الخبر المشهور عن النبي المحبوب صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن
الشرك من عمل عملا فاشرك فيه غيري فنصيبه له فاني لا اقبل
الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة
اذا التمس في ثواب عمله لم يوسع لك في المجالس الم تكن الرئيس
في الدنيا الم يرخص سعرك مثل وك الم تكرم هذا واشباهه
من الخطر والضرر قلت ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان
اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهي اللوم
على رؤس الملئكة وذلك ما روي ان الملئكة تصعد
بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين
فانه لم يرد به فيفضح ذلك العمل والعبد والثاني

106

فقيحد العلانية وهي يوم القيمة على روس الخلايق ماروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرايي يوم القيمة ينادي باربعة
اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلق
لك فالتمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي ان الله ينادي
منا ديوم القيمة يسمع الخلايق اين الذين كانوا يعبدون الناس
قوموا خذوا اجوركم ممن كنتم عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه
شي فاما المصيبة الثانية فوت الجنة وذلك ماروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام
على كل بخيل ومرائي والجنة تحمل معنيين لعدمها انا هذا البخيل
من مخل يا فتح بخل وهو قول لا اله الا الله محمد رسول و
هذا المرائي من غير انه يا فتح دما وهو منافق الذي يرائي
بايمانه وتوحيده وفي هذا القول ترجيد والتنبيه الله فيهم لم تنبه
عن البخيل والرياء ولم يبرأ نفسه ففيه خطرات يلحقه شوم
ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنة راسا والعياذ بالله تعالى والمصيبة
الثانية دخول النار وذلك لما روي ابو هريرة عن النبي صلى الله

عليه وسلم ان اول من يدعى يوم القيمة رجل قد جمع القران
ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى
للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول
ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل واطراف
النهار فيقول الله عز وجل كذبت ويقول الملئكة كذبت و
يقول الله عز وجل بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك
ويؤتى بصاحب المال او ذا المال فيقول الم اوسع عليك ادعك
تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما اتيتك
فيقول كنت اصل به الرحم واتصدق فيقول الله عز وجل كذبت
ويقول الملئكة كذبت فيقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد و
قد قيل ذلك يؤتى بالذي قتل في سبيل الله عز وجل فيقول له ما عملت فيقول
امرتني بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت و
يقول الملئكة كذبت ويقول الله سبحانه بل اردت ان يقال فلان جري
وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ركبته
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النار واهلها يعجون
من اهل الريا قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التي
يعذبون بها وهذه النصايح بلاغ لاولي الابصار والله عز وجل ولي العباد
الهداية بفضله فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والريا وحكمهما
وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا رحمهم الله اخلاصان
اخلاص العمل واخلاص طلب الاخرة فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب
الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح
وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله تعالى لا اله الا
هو وقال شيخنا رحمه الله تعالى النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي للمنافق في الله تعالى
وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب الاخرة
فهو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول انه ارادة
نفع الاخرة لم يرد به غير ذخيرة انه قد ذخره بحيث يرجى له به تلك المنفعة
وقد شرحنا هذه الشرائط وقال الحواريون لعيسى ابن مريم عليهما السلام
ما الخالص من العمل فقال الذي تعمل لله عز وجل لا تحب ان يحمدك عليه
احد وهذا تعرض لترك الريا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب
للاخلاص وقال الجنيد رحمه الله تعالى الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات
وقال الفضيل رحمه الله تعالى الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان

الكامل والاول فهي هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين
والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم
كما امرت اي لا تعبد هواك ولا نفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت فهذه
اشارة الى قطع ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص
الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط
والمحض ان يريد به نفع الدنيا بعمل الآخرة لا غير والتخليط يريدهما جميعا نفع الدنيا
ونفع الدين ونفع الآخرة بذا احدهما واما تأثيرهما فان اخلاص العمل الى جعل الفعل
قربة واخلاص طلب الاجر الى جعله مقبولا واوفر الاجر التعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه
عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله سبحانه وتعالى والرياء المحض لا يكون
من العارف عند بعض العلماء والكان ابطل نصف الثواب وعند الاخرين قد يكون
الرياء المحض من العارف فانه يذهب بنصف الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمة الله تعالى ان
الرياء المحض لا يكون من العارف مع تذكر الآخرة ويكون مع السهو والغفلة اي تأثيره في
القلوب والنقصان في الثواب وان لا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل
يطول وقد شرحناها شرحا مستقصى في كتاب الاحياء واشبعنا القول في اسرار معاملات
الدين هناك قلت فما موضع الاخلاص وفي اي الطاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال
عند بعض العلماء ثلاثة اقسام قسم فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منها وهو الاعمال الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه الاخلاص

به طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات الماخوذة للعدة قال شيخنا رحمه الله تعالى ان كان عمل يحتمل
القرب الى الله عز وجل من العبادات الاصلية يقع فيها اخلاص العمل في العبادات الباطنة
الظاهرة اكثرها يقع فيه اخلاص العمل فاما اخلاص طلب الاجر قال
مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله سبحانه
وتعالى فامتنع منها دواعي الريا فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا رحمه الله تعالى
يقول اذا اراد مريد من الله عز وجل بالعبادات نفع الدنيا فهو القهار ربما قلبت انا
فلا بعد اذن يقع في كثير من العبادات الاخلاص وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان
جميعا عند الشروع فيها واما المباحات الماخوذة للعدة فيقع فيه اخلاص طلب الاجر دون
اخلاص العمل اذ هي لا تصلح ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان قلت
هذا موضعها فبين لنا وقت تمام العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة
ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب الاجر ربما يتاخر عنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه
وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ من العمل على الاخلاص اذ الريا بعد انقضى الامر
والمكلف السند راكه بعد وعند عباد ان من مشايخ الكرامية ما لم تصل المنفعة المطلوبة
اليه ما يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض
هو ابن الوصية يمكنه اقامة الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل
الى ذلك قال والفرق بينهما ان الله عز وجل ادخل العبد في الوصية
مامول عنه التفصيل والترقية واما النوافل فالعبد الذي ادخل فيه نفسه

وتكلف فطوبى لمحقق ما تكلفه قلت في هذه المسألة فايده وهي ان من سبق منه الرياء
ولو ترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه الذي ذكرنا
والمقصود من نقل هذا مذاهب الناس في هذه الدقايق علمنا الان بغلبة العوايق
وقلة الرغبة في سلوك هذا الطريق والتوبة على المبتدي في العباد فلعلك لم تجد
لعلته دواء في هذا القول وعلل وحده في الاخر لاختلاف الاعراض في الاعمال
وافاتها اشد افهم ان قلت افكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه
قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز بناء كل
اخلاص لجملة من العبادات فالعمل ذو الاركان والوضوء يكفيهما اخلاص واحد
لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت
اذا اراد بعمله الخير نفعا من الله عز وجل ولا يريد من الناس شيئا من مدحه او سمعة او منفعة
ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله تعالى الاعتبار
في الرياء بالمراد والذي يريده فان كان مراده من عمل الخير نفعا دنيويا
فانه رياء سواء اراده من الله تعالى او من الناس فان الله عز وجل قال
من يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ثم ليس الاعتبار بلفظ
الرياء اشتقاقه من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة
بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع يكون من قبل الناس ورؤيتهم فافهم
فان قلت اذا كان القصد من الدنيا التي يريدها من الله عز وجل التعفف

عن الناس والعدة على عبادة عز وجل ايكون ذلك رياء فاعلم ان التعفف ليس
في كثرة المال والطعام وانما هو بالعيش والثقة بكفاية الله عز وجل واما العدة على
عبادة الله عز وجل اذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء وكذلك ما يحصل
بامر الاخرة واسبابها ويصير ظهيرا لذلك فان اريد به التحرز من النوع فلا يكون
تلك الارادة رياء لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا فيصير في حكم اعمال
الاخرة ولا يكون ارادة التحرز رياء وكذلك ان اردت ان يكون
لك عند الناس او محبة عند المشايخ والائمة ليكون قصدك من ذلك التمكن
في تاييد مذاهب الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم او الحض
على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد به لك شرفا في نفسك من حيث
هو او دنياها ولها فان هذه كلها ارادة شديدة وفيها ثواب
محمودة ولا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الاخرة
بالحقيقة واعلم اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا
في قراءة سورة الواقعة في ايام العسر الذي المراد بذلك ان يدفع
الله تعالى تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم بشيء من الدنيا على
ما جرت فكيف يصح ارادة متاع الدنيا بعمل الاخرة فقال
في جوابه كلا معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله تعالى
قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على

درس العلم وهذه وجهة ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان هذه احدى فوائد هذه
السورة عند الشيخ في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت الاخبار الماثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى كان ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه حين عوتب في امر ولده اذ لم يترك لهم شيئا من الدنيا
قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السر جرت هذه
الخصلة عند علمائنا رحمهم الله تعالى والافلاد منا لا الحمد لله تعالى لشده
في امور الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا ويجرمانه يعلمون
بذلك فما بينهم ويعدونه من الله سبحانه منة عظيمة ويخافون اذا
بدت لهم سعة من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس الا الاحسان والنعمة
ان يكون ذلك استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف وانهم لطالبون الطلب
والاستغفار في عموم الاحوال ومع هذا هم يعولون بالجوع والكد
امور النفس وحفظا وضبطا فذلك اهل التصوف وهو مذهب هذه
الشيخ وبذلك جرت سيرة سلفنا وانا نقص بعض الحكايات
التجربة وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يعترض فيه جاهل
منتبه بمقاصد القوم في امورهم او يغلط فيه مبتدئ لم
لم ياخذ من العلم حظه فيقول كيف يليق هذا الحال باهل الزهد
والتجرد وارباب التصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا انما ماخوذ

تدبير الاستغفار

من

ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول القناعة والعز لا انتاج البطر والشهوة او الضعف والعدة
لا انتاج البطر والشهوة او الضعف عن احتمال العبرة والشدة والكثير ما يرى عقيب
ذلك قناعة في القلب وفقد كلل الجوارح وضعفه وسلوة عن الطعام ونهمته
وعلمه ذلك من المحنة فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى القادح
الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين احدهما انه الحجب عن التوفيق والتائيد
من الله تعالى فهذا المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التائيد والتوفيق ما اسرع ما يهلك
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه الثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك المسيح عليه السلام يا معشر
الحواريون كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان
المقصود والفايدة العادة وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان
حصل فقليل من ذلك ويحفظنا الله عز وجل ولي العصمة والتوفيق فان
قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما ضده وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم ان
حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفضيله وعند علمائنا رحمهم الله تعالى
ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح له دون العمل لله تعالى النزاهة او الخسر او النار
قالوا وقد يكون العجب مثلثا بان يذكر ذلك من هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق
والله ومثنى بان يذكر من اثنين وموحدا بان يذكر من واحد ضد العجب
ذكر المنة وهو ان يكون يذكر انه بتوفيق الله جل جلاله وانه الذي

وانه الذي شرفه وعظم وثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عنده واما العجب
يتقبل في ساير الاوقات واما تاثير العجب في العمل قال بعض علمائنا العجب يحبط
الاحباط فان تاب قبل موته سلم والا احبط واليه ذهب محمد بن ... من شيوخ
الكرامية والاحباط عنده ان يذهب عنه جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك
ثوابا ولا مدحة البتة وفي قول اخره هو ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت
كيف يلتبس على العبد العارف ان الله عز وجل هو الذي وفق للعمل الصالح
واعظم قدره واكثر ثوابه بمنه وفضله فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وذخيرة
شريفة وهي ان الناس في العجب ثلاثة اصناف صنف هم المعجبون كل حال وهم
المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة في افعالهم وينكرون العون
والتوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون
المنة لكل حال وهم المتقون لا يعجبون لشيء من الاعمال وذلك لبصيرة اكرمهم مولاها
وتاييد خصوا به والصنف الثالث هم المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون
فيذكرون منة الله عز وجل وتارة يغفلون فيعجبون وذلك الغفلة
العارضة بعد الفترة في الاجتهاد والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال
القدرية والمعتزلة في اعمالهم فاعلم ان في ذلك اختلافا فقيل انه يحبط
لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد الجملة من فرق الاسلام ولا الاسلام
حتى تخص كل عمل بآفة كما ان اعتقاد السنة لا يمنع العجب والرياء قاله

فبذله احمل الى فدة القوادة بسواهما لكن خصصناهما بالذكر لانهما
الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان
حق العبد لله يتحفظ في العمل من عشرة اشيا النفاق والريا
والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتها
ون وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا رحمه الله تعالى ضد كل خصلة
منها وهذا وجها بالعمل فضد النفاق اخلاص طلب الاجر وضد
الريا اخلاص العمل وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم
العمل لله عز وجل وضد الاذى تحصين العمل وضد الند
امة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام
الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية
واعلم ان النفاق يحبط العمل والريا يوجب رده والمن
والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ
يبطلان اضعافهما واما الندامة فانها تحبط العمل في الحال
جميعا والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة وخوف الملامة
والتهاون يخفف العمل فيذهب وزانته قلت فالمقبول
والى عند التحقيق رجحان اي ضروب من التعظيم والا
ستخفاف والاحباط الطاعات فانه يكون بالفعل وبسببه ثم

وبسببه ثم تارة تكون ابطال الثواب واخرى ابطال التضعيف والثواب

منقطعة بقبضها الفعل بعينه وقرائنه واحواله والتضعيف زيادة على

هذا والوزائد زيادات تحصيل بمقتضى قراين الاحوال واحوال الخير كا

لاحسان الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء

ففي الشر يكون وزائد ولا يكون تضعيفا فهذا تهذيب ما تحقيقت

في هذا المعاني فافهم ذلك راشدا وبالله عز وجل التوفيق .

وفيه اربعة اصول فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات

المقاطع والمتالف في غاية التحرق فان صاحب بضاعة الطاعات

قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له البضاعة

من العبادة غزيرة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا

في هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها بضاعته

ومتالف يحذر ان يبيد وفيها افات نفسه عليه طاعته ثم اعظمها خطرا

واعمها وقوعا هذان المقطعان اللذان هما الريا والعجب فلنذكر

في كل واحد فيهما اصولا مقنعة تجردها لك لعلك تكفى مؤنتهما بالله

وفضله سبحانه ان شاء الله عز وجل . فاما الريا فاذكر فيه اولا

قول الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن

لتعلموا ان الله على كل شي قدير كان الله تعالى يقول اني خلقت السموات

والارض

112

والارض وما بينهما في كل هذه الصنايع والبدايع والكيفيات بنظرك لتعلم اني قادر عالم وانت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والنقصانات فلا يكتفي بنظري اليك وعلمي بك وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق ليمدحوك بذلك ايكون ذلك عقلا برضاه اخذ لنفسه ويحك فلا تغفل ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ من الملك الف الف دينار فباعه بفلس اليس يكون تلك خسرانا عظيما وعيبا قطيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراي وزفة العقل فيما ينال العبد بعمله من الخلق من مدحه وخطابه بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه وتوابه لاقل من فلس في جنب الف الف مثقال بل في جنب الدنيا بما فيها واكثر الا يكون من الخسران المبين تفوت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان لا بد لك من هذه الخسيسة فاقصد انت الآخرة يتبعك الدنيا بل اطلب الرب وحده ليعطيك الدارين اذ هو مالكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا

والآخرة وقال عليه السلام إن الله تعالى يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الدنيا
الآخرة بعمل الدنيا فإن أخلصت النية وجردت الهمة للآخرة حصلت
لك الدنيا والآخرة وإن أردت الدنيا ذهبت عنك الآخرة في الوقت وربما
لا تنال الدنيا كما تريد وإن نلتها فلا تبقى لك فقد خسرت الدنيا والآخرة فتأمل
أيها الغافل إن المخلوق الذي لأجله لا يبغضك والسخط عليك و[illegible]
مك والحق بقدرتك فكيف يعمل العامل العمل لأجل من لو علم به أنه
يطلب رضاه لسخط عليه وأهانه فاعمل بإخلاص لأجل من إذا عملت لأجله
وقصدت سعيك وطلبت رضاه بذلك أحبك وأكرمك وأعطاك جميع
أرضاك وأغناك عن الخلق ولقاك فهذه نقدة فافطن لها إن كنت
تعقل والله الموفق   أي حصل له سعي يمكن أن يكتسب به رضا أعظم
ملك في الدنيا فطلب به رضاء كناس خسيس بين الناس فيكون في ذلك دليلا على
سفهه ورداءة الرأي منه وسوء لحظه ولقال له ما حملك إلى رضاء
هذا الكناس مع إمكانك من رضاء الملك فكيف وقد سخط الكناس بين
عامك بسبب سخط الملك ففاتك الكل فهذا أمر أي فأي حاجة إلى رضاء
مخلوق عاجز ضعيف مسكين وهو متمكن في تحصيل رضاء رب العالمين
الكافي في الكل فإن ضعف اليقين وكلت البصيرة حتى طلبت رضاء لا محالة فيسلك

115

ان تجرد ارادتك وتخلص لربك الله عز وجل فان القلوب والنواصي بيده
هو مالك القلوب ويجمع اليك النفوس ولتسخر في حبك الصدور لك
فتنال من ذلك ما تنال له بجهدك وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك
رضاء المخلوق من دونه سبحانه فانه تصرف عنك القلوب وتوحش عنك
النفوس وتسخط عليك الخلق فيحصل لك في هذا الامر ان تسخط الله تعالى
وتسخط الناس جميعا فيا له من خسران وحرمان ولقد ذكر عن الحسن رحمه الله تعالى
قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله عز وجل عبادة اذكر بها
وكان اول داخل المسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلواة
الا وهو يصلي وصائما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فلبث كذلك سبعة اشهر وكان
لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله تعالى بهذا المرائي كذا وصنع كذا فاقبل
على نفسه وقال اراني في حرج شيء لاجعلن عملي كله لله عز وجل فلم يرد
على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان
بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله تعالى فلانا الان قد اقبل
على الخير ثم قرا الحسن رحمه الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا وقال ايحبهم ويحببهم الى المومنين ولقد
صدق القائل   يا مبتغي الحمد والعطايا   بغير فعل تبتغي محالا

قد خيب الله دار رياء والبطل السعي والكلام كان يرجو

تقاربت اخص من خوفه الفعال الخلد والنار في يديه فراليه

يعطك النوال والناس لا يكون شيئاً فكيف رايتهم ضلالا

وفي ثلاثة الاصول. ان فعل العبد انما صارت

له قيمة لما وقع من الله عز وجل موقع الرضا والقبول الا ترى

الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدا

نقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل

والنهار فيكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت الفعل العامل

الى الله عز وجل صمت لله عز وجل يوماً قال الله تعالى انما يوفى

اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا

عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي

قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت له هذه القيمة

تباً خير غدا الى عشاء ولو قمت ليلة لله عز وجل قال تعالى

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي

قيمته دانقان ودرهمان صار له كل هذه القيمة والقدر بل

لو جعلت الله تعالى ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل

فتنا قلت

116

فاولئك

نفا قلت لا اله الا الله قال الله عز وجل وتعالى ذكره اواتي وهو مومن
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه ساعة والنفاسك التي لا قيمة
لها عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك بلا فائدة
ما رطها كان هذا القدر لما دل انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدره وقيمته فحق
د اللعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث وان لا يرى الا منة
الله تعالى عليه فما شرف من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان
يقع على وجه لا يصلح لله عز وجل ولا يقع منه موقع الرضا فيذهب عنه القيمة
التي حصلت له فيعود الى ما كان في الاصل الثمن الحقير من دراهم او دوانق واحقر
واخس من ذلك مثاله ان العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون
قيمته في السوق دانقا فاذا اهداه واحد الى ملك في ساحته وسجده موقع
منه موقع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار
ما قيمته حبة بالف دينار فاذا ارض الملك ورده رجع الى قيمته الخسيسة من حبة
او دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه وابصر منه الله عز وجل وصن فعلك حمايته
عند الله عز وجل ما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على
واحد جرايته من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانية
فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل
والصغار ويقوم على راسه حتى يحذر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب

وربما يحتاج ان يكون على بابه طول النهار وطول الليل حارسا وربما
يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه التي لا خلف
عنها لاجله كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والغرر لاجل تلك المنفعة
الحقيرة النكدة مع انها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك فربك
الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك فاحسن التربية ثم انعم عليك من النعم
من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهها
فهمك ووهمك قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي
مع ما فيهما من المصايب والافات ومع ما وعد عليهما في المستقبل من جنس الثواب وصنوف
من الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب به فليس هذا من شان عاقل اذا نظرت
فهذه هذه . اي الملك الذي من شانه ان يخدمه الملوك والامراء
ويقوم على راسه السادات والعظماء ويتولى خدمته الالباء والحكماء والطلبة
ومدحه العقلاء والعلماء ومن بين يديه الاكابر والرؤساء اذا اذن الرفيع
او قوي بمقتضى رافة وعناية وله في بابه حتى راجم اولئك الملوك والسادات
والاكابر والافاضل في خدمته ومدحته ويجعل له مقاما يحضر معه
وهو التي خدمته بعين الرضا فان كانت مشوبة معيوبة لكن الله تعالى
لقد كثر على هذا الحق المنة من الملك وعظمت عنايته فان اخذ
الحق يمن على الملك بتلك الخدمة المعيوبة ويستعظم ذلك ويعجب

ان ذلك لسفه جدا وجنون لا يغفل شيئا ولما لم تعرف هذا فان الهك جل جلاله
هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح
بحمده وهو معبود الذي يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم
على بابه جبرئيل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون
والروحانيون وساير الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين في
منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم خدامه الذين على بابه آدم ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع ساير الانبياء والمرسلين صلوات
الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيعة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم
الجليلة الخطيرة ثم من العلماء والائمة والابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة
وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة واقل الخدم
على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على بابه ~~ملوك الدنيا~~ الاقفال
سجدا ويعفرون الوجوه في التراب خاشعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين
ويعترفون له بالعبودية والنقص ساجدين صاغرين عنه حتى ربما نظر اليهم
نظرة فيقضي لهم بفضله حاجة او يتجاوز عنهم بكرمه زلة ومع هذه العظمة
والجلال والملك العالي قد اذن لك في حضرته وخلوتك فانت الذي
لو انت الذي لو استأذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن لك وان يكلمك
امير حيك فربما لا يكلمك وان تحدث سلطان بلدك ما لارض فربما لا يلتفت

نخ خاضعين

الما اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه بل تدل عليه بالمس له وتباسطه فتستعظم به جاهاك وتستكثر مهاباك ثم انه رضي ركعتيك في مناجاته بهما بل تعدهما من الثواب عليه بالمسالة ~~وتباسطه~~ عليهما مالا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك تتحير بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظم ولا ترى منة الله تعالى عليك في ذلك مما اكواد في حيد واما اجهلك من الانسان والله عز وجل المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فنهذه هذه

الملك العظيم اذا اذن لادخال الهدايا اليه بحضرته الامراء والكبراء والكبراء والروساء والسلاطين والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر ثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بقابل بابه اعرق وي بسلة عنب يباهي دانقا او حبة فيدخل في حضرته ويزاحم اوليك الابطال والاغنياء لهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا الملك يتقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضاء ويامر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان احد هذا الفقير يجب بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منه الملك الا يقال هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ الادب عظيم الجهل فالان انك اذا قمت الله

تعالى

تعالى ليلته وصليت ركعتين فلما فرغت تفكرت كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من
الخدم في اقطار الارض برها وبحرها وسهلها وجبلها من اصناف عباده المستقيمين
والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت بين يدي الله تعالى
في هذه الساعة من عباد الله تعالى عبادة صافية وخدمة خالصة عن انفس خاشعة والسن وابدان
طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية واركان تقية وصلوات
وانك ان بذلت الجهد في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة
هذا الملك العظيم ولا تليق في جنب تلك العبادات التي تعرضها كيف وقد كان
منك عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان
متلطخ بانواع المعصية والفضول وكيف تصلح هذه ان تحمل الى تلك الحضرة
وكيف تستاهل ان تهدى الى رب العالمين جل جلاله قال شيخنا انظر ايها العاقل
هل وجدت صلوة مثل صلوتك الى السماء كأنه بدية تبعثها الى سوق الاغنياء وكان
ابو بكر الوراق رحمه الله تعالى يقول ما فرغت من صلوة الا استحييت حين فرغت
منها اشد حيائي من امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه
فضله العظيم قد رضيها من الركعتين وعد عليهما جزيل الثواب ما وعد
وانت بعينه وفي حراسته وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره ثم مع
ذلك تعجب بها وتنسى نعمة الله عز وجل عليك وهذا والله اعجب
العجب لا يكاد يذهب مثله الا على جاهل لا فكر له وغافل لا ذهن له

ميتا ولا خير فيه فهذه هذه نسال الله حسن الكفاية بمنه وفضله

ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ من رقدتك ايها الرجل

في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة اشد واشق وامر

واصعب عقبة استقبلتك في هذه الطريق اذ اليها منتهى ثمرة كل ما قطعت من العقبات فان

فان سلمت عملك ونجحت وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل

العمر كله ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه العقبة ههنا ثلاثة امور الاول

ان الامر دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري

الرياء والعجب في الاعمال خفية ودقيقة بالغاية فلا يكاد لذلك الا كل حبر في الدين

بصير يقظان القلب متحرق والا يطلع عليه الجاهل اللغوب والغافل النؤوم

ولقد سمعت بعض علماء نيسابور رحمهم الله تعالى يحكي عن عطاء السلمي انه نسج

ثوبا فاحكمه وحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاستخصه البزاز وقال

ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذه عطاء وجعل يبكي بكاء شديدا فندم

الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له من ثمنه ما يريد فقال

عطاء رحمه الله تعالى ليس ذلك ما تظن انما انا عاملت في هذه الصناعة جهدي

وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد

به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه ظهر فيه كنت عنها غافلا

فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الجبير البصير كم يبدو فيها

ثم التعب في العيون التي نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة
في وقت السحر في غرفة لي شارعة اذ قرأت سورة طه فلما ان ختمتها غفوت غفوة
فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه
فاذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها
محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها
اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا نادى
من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم
فعلتم ذلك فقالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه جملة
الامر الثاني في شدة العقبة واما شدة العقبة فلان الرياء والعجب آفة عظيمة تقع في لحظة فربما تفسد
عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري رحمه الله تعالى واصحابه فقال لاهله
هاتوا الطبق لا الذي اشتريته في الحجة الاولى بل الذي اشتريته في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان وقال مسكين
قد افسد عليه هذا حجتيه ووجه آخر في الغرض ان اقل طاعة سلمت عن الرياء والعجب تكون
في علم الله تعالى بالقيمة ما لا نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة لا قيمة لها الا
ان يتداركها الله عز وجل على ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لا يقل
عمل مقبول لله تعالى وكيف يقل العمل المقبول وروي لا يقبل الله تعالى عملا الا كيف
يقل عمل مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه
وعن وهب قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله تعالى سبعين عاما لا يفطر

واسبر الى سبت وطلب الى الله عز وجل حاجته فلم تقض فاقبل على نفسه وقال ويلك ابن لو كان فيك خير

قضيت حاجتك فانزل الله عز وجل ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازريت فيها بنفسك

خير من عبادتك التي مضت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام الى اي الغبن ان واحدا ايكدح

ويتعب سبعين سنة واخر يتفكر ساعة واحدة فتكون فكرة الساعة الواحدة افضل من عبادة

سبعين سنة وهذا الذي من الغبن العظيم انك متمكن من ساعة خير من عبادة سبعين سنة فتترك

ذلك لحظ خسيس من حاجة بل والله انه اعظم الغبن وان اغفاله لاشد الخسران فان لحصل التي

لها هذه القيمة ولحظ لحين الى الخير زمنه فيحتسب ولهذا المعنى انما وقع نظر اولي الابصار من العباد

في مثل هذه الدقايق واهتموا بمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها والتحفظ

عنها ثانيا ولم يعنهم كثير الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا

جوهرة واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكلت في هذا الباب نظرهم جهلوا

فاغفلوا امر القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك

عن الطعام والشراب ونحوه فتوهموا العدد والكثرة ولم ينظروا الى امر الحد والصفوة

وما يعتبر بحد الجوهر والالباب فيها وما ينفع دفع النقود ولم يحكم مبانيها وما

هذه الحقايق الا العالمون بالله المكاشفون والله ولي الهداية بفضله

جل جلاله واما عظم [illegible] وجوه احدها ملك الالهية

لجلاله وعظمته وانه عليك نعم لا تعد ولا تحصى وانك بذلك مستوجب لعقوبات

موقرا بافات كثيرة وامور مخوفة ان وقع ذلك مع تسارح النفس

الرحمه

الیہ فیحتاج الی الستخرج عملا صافیا لا من بدن معیبون ونفس مبالۃ الی السّرا
الیہ محتاج الی مارہ باتسود علی وجہ یصلح لرب العالمین فی جلالہ وعظمتہ
وکثرۃ ایادیہ ومنہ ویقع منہ موقع الرضا والبول والا فیفوتک الربح
العظیم الذی لا یفلح النفس یفوتہ بل ربما یصیبک فیہ مصیبۃ لا طاقۃ لک
بہا فہذا والدنیا عظیم وخطب جسیم واما جلال الملک وعظمتہ فیجب
ان الملائکۃ المقربین الابرار قائمون لا باجدہ منذ اناء اللیل والنہار وحسبی
ان منہم ومن ہو منذ خلقہ اللہ عزوجل فی قیام ومنہم من ہو فی رکوع
ومنہم من ہو فی سجود ومنہم ہو فی تسبیح وتہلیل فلا یتم القائم قیامہ
ولا الراکع رکوعہ ولا الساجد سجودہ ولا المسبح تسبیحہ ولا
المہلل تہلیلہ ما دام صورۃ النفخۃ الصور لم یاو خواتم الخدمۃ العظیمۃ
نادوا باجمعہم سبحانک ما عبدناک حق عبادتک وہذا سید المرسلین وخیر
العالمین اعلم الخلق وافضلہم محمد صلی اللہ علیہ السلام یقول لا احصی ثناء علیک انت
کما اثنیت علی نفسک ویقول انا افدر ان اعلیک ثناء انت لہ کما یلیق ان احمدک
کما انت اہل وہو الذی یقول الجنس احد بعملہ وقالوا ولا انت یا رسول
اللہ قال ولا انا الا ان یتغمدنی اللہ تعالی برحمتہ واما النعم والایادی فکما قال
تعالی برحمتہ واما النعم والایادی فکما قال تعالی وان تعدوا نعمۃ اللہ لا تحصوہا
وجلی ما سوی الخیرۃ الناس جلا علی ثلاثۃ دواوین دیوان الحسنات

وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوفي بجنبة
الا أوفى نعمة حتى تعم نعم الحسنات وتبقى السيئات والذنوب والله تعالى
فيها المشيئة واما حبوط النفس وآفاتها فقد قدمناها في بابها والامر
المخوف ان العبد يكدح ويدأب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وآفاته
فربما لا يكون واحدة واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله
عز وجل الى العبد وهو يرائي الناس بعبادته له ويخضع له ويجمل
ظاهره لله تعالى وباطنه وقلبه للخلق فيطرده طرد اللاعبين والعياذ
بالله الكريم ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري رحمة الله
تعالى انه رئي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله تعالى
بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس
بابصارهم فزدت حسنا لصلاتك فلولا ان اول صلاتك كان
لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة
ولما كان الامر في الجملة في الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر اولو
الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى شيء مما
يظهر للناس من اعماله حتى ان منهم من لا يلتفت اليه يحكى عن رابعة
انها قالت ما ظهر من اعمالي فلا اعده شيئا وقال آخر اكتم حسناتك
كما تكتم سيئاتك وآخر يقول ان امكنك ان تجعل لك خبيئا في

من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة بم ترجين اكثر ما ترجين قال
باياسي من جميع عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار
فقال مالك اما طاعة الله او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله
والنار فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي
رحمه الله تعالى لكل كابدت العبادات ثلثين سنة فرايت قائلا
يقول يا بايزيد والله خزائنه مملوءة من العبادة ان اردت
الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن
يحكي عن الاستاذ ابي الفضل رحمهما الله تعالى انه كان يقول اني اعلم
ان ما اعمله من الطاعات غير مقبولة عند الله عز وجل فقيل له
في ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا
واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة فقيل له فلم لا تفعلها قال عسى
ان يصلحني الله بخير جاري يوما فتكون النفس متعودة لعمل الخير فلا احتاج الى اعودها
ذلك كما الراس فهذا حال هؤلاء الاعلام ذوي المجاهدات والاقدار فاطلب ايها
لنفسك صحبة مع غيرهم ودع الاياس وخاب الامال فهيهات بتذكرك بالتوكل
سادة كبراء النفوس وساحة الاقبال ثم رايت لما اثبت ههنا الخبر ما يؤثر
عن الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه في غير كتاب من ابوابه المبارك

عز وجل هو خالد بن معدان انه قال لمعاذ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاءً طويلاً ثم قال وا شوقاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينا انا عند رسول الله صلى الله
وسلم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء فقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه
ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان انت حفظته
نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان
الله عز وجل خلق سبعة املاك قبل ان خلق السموات فجعل لكل سماء ملكاً وجعل
على كل باب من ابواب السماء ملكاً بواباً على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة
بعمل العبد وله نور وشعاع كشعاع الشمس حتى اذا بلغ به السماء الدنيا والحفظة
تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يجاوزني الى
غيري ثم تجيء الحفظة من العبد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا
انتهوا به الى السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
فانه اراد به عرض الدنيا امرني ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري فتلعنه
الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجين فيه صدقة وصيام وكثير
البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا الى السماء الثالثة قال الملك الموكل ب

الاعجاب

قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل
العبد يزهر كما يزهر النجوم والكواكب له دوي وتسبيح وصلواه وحج وعمرة
فاذا انتهوا به الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد
الملائكة بعمل العبد يزف كما يزف العروس الى اهلها
حتى اذا انتهى الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد او حج
له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان
يحسد الناس على ما اتاهم الله تعالى من فضله فقد سخط ما رضي الله عز وجل
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد
بوضوء تام وصلواه كثيرة وصيام وحج وعمرة فيتجاوزون
به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك بالباب انا صاحب الرحمة
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم انسانا قط واذا
واصيب احد شمت به امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري
وتصعد الملك بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلواه و[illegible]
وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا

فاذا انتهوا به الى السماء السابعة يقول الملك الموكل بالسماء انا صاحب الذكر
ان صاحب هذا العمل انه لعمل الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه
عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن
لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عز وجل عمل المرائي ويصعد الحفظة
بعمل العبد من صلواة وزكواة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت
وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله
عز وجل فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل
الصالح المخلص فيقول الله سبحانه انتم الحفظة على عمل عبدي وانا
الرقيب على ما في نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم
بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الآدميين وغركم ولم يغرني وانا علام
الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب
ولا يعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين
كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون
وانا علام الغيوب عليه لعنتي ويقول الملائكة السبعة والثلاثة الاف المشيعون
يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنتك لعنة الله الا عنهم
ثم بكى معاذ وانتحب بكاء الشديد وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت
قال نعم يا معاذ ان كان في عملك تقصير فاقطع عن الوقيعة في الناس

وعن الوقيعة في الناس ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك
ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا ترائي بعملك كي تعرف في الناس فينقطع
عنك خير الدنيا والاخرة ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك امر الاخرة
ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خيرات الدنيا
والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس
بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا هل تدري ما هن
يا معاذ قلت بأبي انت وامي يا رسول الله ما ادري ما هن قال فيقول تنهش
اللحم والعظام فقلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي
وصفت لك يسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس
لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذن انت قد سلمت قال خالد بن معدان
فكان معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما يكثر من تلاوة الحديث وذكره في مجلسه
اذ قد سمعت ايها الراجي بهذا الحديث العظيم شانه الكبير خطره العظيم امره الذي يطيش له
عقله فتتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتحرج من خوفه النفوس فالتجئ
مولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل
واطراف النهار مع المتضرعين والمبتهلين فانه لا نجاة عن هذه الامر الا
الا برحمته والسلامة من هذا الامر الخطير بتوفيقه وعنايته فتنبه من رقدة
الغافلين واحفظ الامر خوفه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك

لا نهلكه مع الهها ولكن بسيان بالله على كل حال فانه خير معين وهو تعالى ارحم
الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وجملة الامر انك اذا احسنت النظر رأيت قدر طاعة الله عز وجل ورأيت
قدر طاعة الله عز وجل ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم
بقلبك ويكون زاهدا في ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته ولا تريد
لطاعتك شيئا من ذلك ورأيت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تريد
الدنيا لطاعتك من الله تعالى وتقول يا نفس اثناء رب العالمين وشكره
واعوازه خيرا من ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يوقفون قدرك على
بالحقيقة ويخلصون قدر ما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون
عليك من هو دون حالا منك بالغ درجة ويضيعونك في احوج الاوقات
ويخونك فان لم يفعلوا ذلك فما اعجز ان يكون بايديهم والرما ان بيد
قدرتهم ثم هم في قبضة الله عز وجل يصرفهم كيف ما يشاء الرما بالبناء
انتها النفس ولا تقنعي بطاعتك العزيزة بهم ولا يفوتنك ثنا من سنا و
كلك ذخر فخر وعطاء من عطاؤه كل ذخر ولقد صدق القائل

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقل يا نفس جنة الخلد خير ام بطيخة حرام الدنيا وحطامها
النكد الخسيس الحرام واني مهمك من ان تجعلي لطاعتك هذه النعم

بهذه المشقة العظيمة فلا يكون خسيس الهمة رديء الارادة دنيء الامال او ما ترى
الحمام اذا كان شمايا كيف يعلو قيمته ويزداد قدره فادفع بهمتك كلها
الى السماء فحرر قلبك لله الواحد الذي بيده الامر كله ولا تقنع بما طرقت
به من طاعتك بلا نية وكذلك اذا احسنت التامل ورايت اياد الله تعالى
ومننه العظام العظام عليك في هذه الطاعة ان اهلك لها اولا واعطاك
الآلة اولا ثم ازاح عنك العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق
والتاييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثا ثم مع جلاله وعظمته
واستغنائه عنك وعن عملك وكثرة نعمه عليك اخذك على هذا العمل اليسير
الثناء الجميل والثواب الجزيل الذي لا تستحقه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى
عليك به لكن ما نجده كله بفضله العظيم لا عجز والا فاني استحقاقا لك
واي قدر لعملك الحقير المعيوب واذكر ايها النفس منة ربك الكريم
الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه الطاعة فاستحي من ان تلتفت الى عمل
بل الفضل والمنة لله عز وجل في كل حال ولا يكون الا حمد بل الفضل والمنة
لله عز وجل في كل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة
الا التضرع والابتهال الى الله عز وجل بان يتقبلها اما تسمع قول
خليله ابراهيم عليه الصلواة والسلام لما فرغ من خدمته وبنا بيته كيف

علمها

هو المعين

ابتهل الى الله ان يتفضل عليه بالقبول فقالت ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعائي فلبى من عليك بقبول هذه الـ
النصائح المرجاة فلقد الحمد لله على المنة واعظم النعم فيالك سعادة ودولة
وعز ورفعة وكم زين لذلك من خلعة ونعمة وكرامة فان يكن الحرز
فيالك من خسران وغبن وحرمان فاعتبر واشتغل بهذا الشان فاذا
واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ من محاسبتك واستغفرت
بالله عز وجل صرفك الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن امرائه والا
وبعثك على تحصيل الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله عز
عليك في جميع الحالات وتحصل لك بها طاعات طاهرة لا تحبط فيها
خالصة لا شوب فيها وعبادات مقبولات لا نقص فيها بل مثل هذه
الطاعة وان حصلت في العمر مثلا مرة واحدة لا غير فانها عظيمة
لكثرة لعمري انها فاق عددها لقد كثر معناها وعظم قدرها وكثر
وطاب جناها وان التوفيق لمثلها عزيز والغضة به لله عز وجل
على العبد لكثير واي جهد اية احق من هذه يقبلها رب العالمين
واي سعي كرم من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين فيا
ايها المسكين واياك ان يكون من المغبونين واذا اجر الامر
على هذا كنت من الصالحين المخلصين لله عز وجل خالصا

لمثلها

الذاكرين لمننه المرضية وكنت قد خلفت هذه العقبة المخوفة وسلمت [من] آفاتها
وتعقبت الخير اثارها وثمراتها فائزا على الابد بكراماتها ورعاية امانتها والله
سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه وفضله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة السابعة وهي الحمد والشكر ثم عليك وفقك الله

عز وجل واياك بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من
العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله سبحانه على هذه النعمة
العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك للامرين احدهما لدوام النعمة
والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم
وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل فكفرت بانعم الله فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال سبحانه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان النعم اوابد كاوابد الوحش
فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة
فهو ثمن الزيادة قال الله سبحانه وتعالى لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالسيد الحكيم
اذا راى العبد قد قام بحق النعمة من عليه باخرى ويراه اهلا لها والله

قطع ذلك عنه ثم النعمة قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان
نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع
وهي ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية
من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوايدها ونعمة الدفع
ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس
بان سلمك من آفاتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك
من ضرب من الآفات العوائق او يقصدك بسوء من الانس او الجن او سباع
او هوام ونحوها واما الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة
التوفيق ان وفقك اولا للاسلام ثم السنة ثم الطاعة ونعمة ان
عصمك اولا من الكفر والشرك ثم من البدعة والضلالة ثم من ساير المعاصي
وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي انعم عليك كما قال
عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم كلها
بعدما انعم عليك بها والزيادة من كل باب منها مع نعمه كلها
متعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله عز وجل وان خصلة
يكون بها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه الفايدة لحقيق
ان تتمسك بها عن اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيميا

129

عز بره والله ولي التوفيق فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر اخذ التحصيل
وما معناهما وحكمهما فاعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل
بان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من
اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولان الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص
واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان
متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن وهذا مقتضى كلام شيخنا
واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا فعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر و
العلانية والى نحوه ذهب مشايخنا رحمهم الله تعالى فقالوا الشكر
هو اداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب
المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر هو الاحتراس عن اختيار
معاصي الله عز وجل تحرس على قلبك ولسانك واركانك حتى
لا تعصي الله تعالى بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه ولا فرق
بين قوله وبين قول الشيخ الاول انه رحمه الله تعالى جعل الاحتراس

معز مبيناً اذ ابدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعصية ما هو الا ان لا يكون المعصية
ما هو بحث واحبها ولا يكون في معنى محصلا ولا يكون العبد مشتغلا وعن الكفران معتصما
قال شيخنا رحمه الله تعالى ان الشكر المنعم على مقابلة نعمه على حد منعه عن جحاد المنعم وكفرانه ولو فلين
تعظم المحسن على مقابلة الاحسان ليصح ان يكون من الله الشكر للعبد المحسن وقيل بالتفصيل وقد
شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن بالتفصيل ان الشكر من العبد بتعظيم جناب من احسن اليه
وذلك بتذكر احسانه وهو حسن حال الشاكر في حال شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت
ان اقل ما يؤدي به النعم نعمه ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم
سلاحاً على عصيانه فعلى العبد اذا من فرض الشكر في حقيقة ان يكون له من تعظيم المنعم
الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمته فاذا ادى بذلك فقد ادى
مما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بالجد في الطاعة والجهد في القيام بالخدمة اذ هو
من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله عز وجل التوفيق فان قلت ما
موضع الشكر فاعلم ان موضع النعم دنيوية ودينية فان قلت ما الشدائد
الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك هل يلزم
العبد الشكر عليها ام حسبت فانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعم لا غير
قالوا ولا شك الاوفى حسبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة

بها يعرف نفس الشدة وتلك النعم ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى
علىّ اربع نعم اذا لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضاء واذ ارجو الثواب
عليها وقيل المصائب تلك اذ تلك الشدة زائلة غير دائمة وانها من الله عز وجل وان
الله تعالى وان كان لسبب مخلوق فانه لك عليه لا له فاذن يلزم العبد الشكر على النعمة
المقرونة بالشدة ابدا وقال اخرون وهو الاولى عند شيخنا رحمه الله تعالى ان الشدة ابدا نعما
يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدة ابدا نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمنافع عظيمة
ومثوبات جزيلة والاعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدة ابدا واي
نعمة تكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها مرّ الاذى لشدة يد او يفصدك
او يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة
العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء واخراجه الدم منك بالفصد والحجامة
نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورته مكروها ينفر عنه الطبع والتوحش
والتوحش منه النفس فان الحمد الذي تولى منك هذا ان تحسن اليه ما امكنك فكذلك
حكم هذه الشدة ابدا اما ترى الى حال النبي عليه الصلواة والسلم كيف حمد الله وشكره
جل جلاله على الشدة ابدا شكره على المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء وسرّ
اما ترى كيف يقول سبحانه وتعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سمّاه

الحجامة

الله عز وجل خيرا كثيرا فهو اكثر مما يبلغه وهاهنا يؤكد القول ان النعمة ليست خيرا عند الله

وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما هو ما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك ليست نعمة في معرفة

واذا كانت الشدة مما تصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فيكون نعمة

بالحقيقة وان كانت بعدم اللذة والحسن لظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت

فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قد قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى

وقليل من عبادي الشكور فجعلهم اخص الخواص وقال تعالى في نوح عليه السلام انه

كان عبدا شكورا وقال عز وجل في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه اجتبيه ولانه

بمنزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم علي فاشكر احب الي من ان ابتلى

فاصبر وقد قيل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع منزلة

قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب

وقال سبحانه وتعالى والله يحب الصابرين فان قلت ان الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا

والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة تصير عليه

بالحالة ولا محالة فان الشاكر بعظم المنعم على حد يمنع عصيانه والجزع عصيان

والصابر لا يخلو لما ذكرنا ان الشدة ابدا نعم على الجمع المتقدم فاذا شكر

بالحقيقة اذا صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما بالله عز وجل وجل اهو الشكر

بعينه

نعمته اذ هو تعظيم منع النفس عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن معصيته

وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله تعالى

حين منعه تعظيمه عن فيما اصابه وحمله على الصابر الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان

حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس لها شدة يصير عليها الشاكر وتوفيق الصبر

والعصمة نعمة لشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة الباعثة

عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة فمن قول بعض علمائنا من هذه الوجوه قلنا ان

احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله تعالى التوفيق

فعليك ايها الرجل ببذل الجهود في قطع هذه العقبة الشاقة المؤنة الكثيرة

الجدوى الجليلة العزيزة العنصر العظيمة القدر وتامل لطلبتي الاصل الاول ان النعمة

انما تعظم ممن يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ويدل على ما قلناه قوله عز وجل

في الحكاية عن الكفار والرد عليهم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين

ظن اولئك الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم

حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء من العبيد دون الاحرار اعطوا

هذه النعمة العظيمة من بينكم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار والاستهزاء

أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم عز وجل بهذه الا النكتة الزاكية

فقال الشيخ اعلم بارك الله فيك ان نعمة الكلام من النعمة الكريمة انما يعطي نعمة
من يعرف قدرها والسالك في قلبه علمها فاختارها على غيرها ولا
يعبأ بالجميل من اعباء المؤونة في تحصيله ثم لا يزال قائما بالباب
يؤدي شكرها وكان في علمنا ان بني ان هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه
النعمة ويقومون بشكرها لكنا نرى اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار
بغناكم وثروتكم ولا جاهكم في الدنيا ولا حشمتكم ولا نسبكم في الانساب
ولا حسبكم انما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب
وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به
اما ترون انكم لا تكادون تقبلون هذه الدين والعلم والحق الا منية
على اباكم به وذلك لا تستحقون بكم اباه ذلك وقلة مبالاتكم
به وان هؤلاء الضعفاء يقبلون انفسهم على ذلك ويبذلون
مهجتهم فيه ولا يبالون بما فاتهم وبقي عادتهم مع
ذلك يعلمون انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة
ورسخ في قلوبهم تعظيمها فهان عليهم ترك كل شيء دونها
فطابت لهم احتمال كل شدة ويستغرقون جميع العمر في ذكره

فلا

فلذلك استاهلوا هذه المنة الكريمة والنعمة في سابق علمه تعالى وخصصناهم
بها دون غيرهم فهذه هذه ثم اقول ولذلك كل فريق من الناس خصهم الله
عز وجل بنعمة من نعم الدين علم او عبادة فانك تجدهم بالحقيقة اعرف
الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واجدهم في تحصيلها واعلمهم
في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم ذلك فلقلة احتفالهم
وتعظيمهم لخفتها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة
في قلوب السوقية والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء
والمتعبدين لما اثروا سوقهم عليه وهان عليهم تركه الا ترى ان
فقيها اذا ظفر بعلم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه
ويعظم سروره ويحل موقعه من قلبه حتى ربما لو وجد الف دينار
لم كان يعدل ذلك وربما يهمه امر مسئلة في باب الدين فيتفكر
فيها سنة بل سنتين بل عشرين والسوقي لا يستكثر ذلك ولا يحمل حتى
ربما رزقه الله عز وجل فهم ذلك ولا يحمل حتى ربما رزقه الله
عز وجل فهم ذلك فيعده اعظم منه واكبر نعمة ويرى انه بذلك نفسه
اغنى كل غني واشرف كل شريف ثم ربما يبيع مثل هذه المسئلة السوقي

ومتعلم كسلان يرى من نفسه انه مشتغل في الرغبة في العلم والمحبة لله
عز وجل فاذا اليه جهله حلاوة وربما ان طال عليه الكلام يمل وينام وان
تبين له ذلك فلا يعده كبير امر وكذلك المنيب الى الله عز وجل كم يجتهد
ويتادب بالرياضة وصيانة النفس عن الشهوات واللذات وتجام
الاركان في الحركات والسكنات عسى ان يتم الله تعالى له ركعتين
في ادب وطهارة وكم يتضرع الى الله عز وجل عسى ان يرزقه ساعة
مناجاة بصفوة وحلاوة ولعله لا يظفر بذلك في شهر مرة بل في
سنة مرة بل في العمر كله مرة عند ذلك اكبر منه واعظم نعمة فكم يستبشر
ويشكر الله عز وجل ولا يكترث بمقاساة جهد المشقة وكابد في الليالي
وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي يزعم انه راغب في عبادة
ويجب ان يحصل منها شيئا لو احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه
العادة العاقبة الى نقصان لقمة في عشائهم او ترك كلمة لا
يعنيهم ودفع نوع ساحة عن اعينهم فلا تسمح انفسهم بذلك ولا
تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في النادر حصول عبادة في خلوة
فلا يعدونه خطرا امرا ولا يقدمون فيه كثير شكر انما يعظم سرورهم

ويكثر

ويكثر بالظاهر جدهم اذا حصلت طعمة لهم او استقامت كسوة او ظهرت مرقة او طابت
في سلامة البدن رعدة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله تعالى فان لم يكن و
هولاء الغافلون العاجزون اولئك العبيد المسيئون الجاهلون المجتهدين ولذلك صار هولاء
المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك المريدون به ظافرين فائزين وكذلك فسلم الامر
حكم الحاكمين سبحانه لا اله الا هو احكم بالعالمين فهذا التفصيل فيه فوجدت اليس الله باعلم بالشاكرين
فافهم وراعه حقه واعلم انك لن تحرم خيرا قط ان ينماه الامر فيه لنفسك فابذل المجهود
تعرف قدر نعمة الله عز وجل عليك وتعظيمها حتى تعظمها فتكون اهلا لها ولا عطائها
لك عليك بابقائها كما من بها عليك بابتدائها على ما نذكر في الاصل الثاني انه الرؤوف الرحيم
الاصل الثاني ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها
هو الذي كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه ولكنه اخلد الى
الارض تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام من آيات
الدين بما مكناه بذلك لحصول الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة حتى بنا فيصير رفيعا
عندنا عظيم القدر كثير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا
الخسيسة الحقيرة واثر سوده نفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا
كلها لا تزن عند الله عز وجل عنده ادنى نعمة من نعم الدنيا بل جناح
بعوضة فكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يوقف الاكرام من الاهانة والشرف

والرفعة من الحقارة وانما الكرامة كلها عنده من يكرمه بطعم او عرا انجا مايدفع رحى الي
سواء لقعده على سريره ملك ولقيه ابتداء في العذر بين يديك نعمه وكرامة
ونعمه كلها في ذلك فهذه العبد سواء اذا جهلت قدر نعمتها ولم يعرف حق ما
من كرامتنا فكنت بصيرة وسار في مقام الوية ادبا بالالتفات الى حجرنا والاشتغال
عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه بنظر السخط واحضرناه ميدان الرق
فنظرناه اليه بنظر الشفقة واحضرناه ميدان الودات وامرنا فيه بحكم الحر وسلمنا جميع خلق
وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا من جميع ما اتيناه من فضلنا فصار
طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه نارا وعذابا رحيم ثم الهمه
بماذا ملك يكرم عبد الله فخلع عليه خاصة ثيابه ولقبه منه وحباه فوق سائر خدمه
وحجابه وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع اخر القصور ويوضع له الاس
وتنصب له الموائد وتبرز له الجواري وتقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجل
هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمة الملك ولا يبرز الا ساع
من نهار او اوقات فان ابصر هذا العبد الجاني باب الملك سائلا ما الدواب يأكل رغيفا
او كلبا بموضع فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه فلا يلتفت الى
ماله من الخلع والكرامة فينبغي ان ذلك السائل يمد يده ويسأله كسرة من رغيفه
او يزاحم الكلاب على عظم ويعظم ما هما فيه الى الملك اذا نظر اليه على هذه
الحالة يقول هذا السفه لا يعرف حق كرامتنا ولم يرى قدر اعتنائنا

ملكه

باه لجعلنا والتقرب الى حضرته مع ما صرفنا اليه من عنايتنا وامرنا اليه من الرجاء
وضروب الالا دين ما هذا الا سائر الطمع عظيم فهل فليت التمر اشبهوه الجلع
اطرو وه عجز بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا او العابد اذا اتبع الهوى
بعد ما اكرمه الله جل جلاله بعبادته ومعرفة اياته وشريعته واحكامه ثم انه لم
يعرف قدر نفيس الراحة التي عند الله عز وجل واهونه عنده فنزعه فيه لحرص
عليه ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع ما اعطى من تلك النعم العزيزة من العلم
والعبادة والحكم والحقايق وكذلك من خصه الله عز وجل بانواع توفيقه
والعصمة وزينه بانوار خدمته وعبادته وبدم النظر اليه بالرحمة في اكثر اوقاته
مباهيا به ملبكته واعطاه على بابه القيادة والوجاهة واجله محل الشفاعة
وانزله منازل الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه الاجابة محل الشفاعة وانزله
منازل الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه الاجابة ولباه ولو سأله لاعطاه
واعفاه ولو شفع في عالم فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر
بباله شي لاعطاه قبل ان يسأله بلسانه فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر
هذه النعمة وخطر هذه المنة فعدل عن ذلك الى شهوة نفس ذرية الاحتيار
او لعقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع
والهدايا والمنن والعطايا ثم ما وعد له في الاخرة من الثواب العظيم
والنعيم المقيم فما احقرها من نفس وما اسوأه من عبد فما اعظم خطره

لو علمه وما الخشى صنعه لو فهم نسال الله البر الكريم

ان يفلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين

فعليك ايها الرجل بالمجهود حتى تعلم الله عز وجل

عليك فاذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت

الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون ا

بضرب من التهاون بما اولاكه من نعم الله

اما تسمع قوله عز وجل لسيد المرسلين ولقد اتيناك

سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك

الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية فيروى ان كل

من اوتي القران العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا

الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة

فيلازم الشكر على ذلك فانه الكرامة التي حرص خليل

خليله ابراهيم عليه الصلوة والسلام ان يمن بها على احمد ابي طالب فلم تقضه

اما حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجا

وفاسق الذين هم اهون خلق الله عليه حتى يغرقوا فيه ويصرفه عن كل

وصديق وصالح وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه حتى

لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ومن عليهم بان لا يلهيهم بقدر ربها

قال الله عز وجل لموسى عليه الصلوة والسلام ولهرون ان شئت ان ازينكما بزينة يعلم
فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها ولكن كذلك افعل باوليائي واني لا
ذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لا
جنبهم سلوتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم
من كرامتي وقال عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الاية فا
نظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا وقل الحمد لله الذي من علي بمثل اوليائه
وصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه لتحظى بالشكر الاوفر والحمد الاكبر
والمنة الكبرى والنعمة العظمى انما هي الاسلام فانه للاولى والاخرى
ان لا يفتر عليك ليلك ولا نهارك عن شكرها فان كنت عاجزا عن
عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت
في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما
قضيت بعض الحق كما هنالك من الفضل العظيم قلت وعلم ان الموضع
لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف الف
ورقة لكان ما يبلغ علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه

في جنب ما لا اعلمه كنقطة في بحار الدنيا بأسرها اما تسمع ويحك
قوله عز وجل لسيد المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما قال القوم بل الله يمن عليكم
ان هديكم للايمان اما تسمع قوله عليه السلام وقد سمع رجلا
يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله تعالى على نعمة
عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال على اي دين
تركته قال على الاسلام قال الان تمت النعمة وقيل ما من
كلمة احب الى الله عز وجل ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول
العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام واياك ان
تغفل الشكر وتفتر بما انت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة
والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة
فان الامور بالعواقب وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى
ما امن احد على دينه الا سلبه وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول
ان استعظمت حال الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن على نفسك فان

131

فإن الأمن على الخطر ولا تدري ماذا يكون من العاقبة وما يبقى لك في حكم الغايب.
والعبد لصفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وقال بعضهم ما معنى الغرور
بالعصيم الى تحتها انواع النقم زين الله تعالى لإبليس بأنواع عصمته وهو حينئذ في حقائق
لعنته وزين لبلعم باجور بأنوار ولايته وهو حينئذ في حقائق حد اوبه وروي
عن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه كم من مستدرج بالإحسان وكم من مفتون
بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما أقصى ما يخدع به
العبد قال بالألطاف والكرامات كذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
يقول نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر ومن هذا المعنى أحسنت ظنك بالأيام
إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت
بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر واعلم أنك كلما صرت أقرب
فأمرك أخوف وأصعب والمعاملة أشد فارق والخطر عليك أعظم فإن الشيء
كلما كان أبلغ علواً فإذا انقلب كان أصعب وقوعا فمثل ما طار طاير فإن
يقع إلا كما طار وقع فإذن لا تسبب إلى الأمن واغفل الشكر وترك الابتهال
في الحفظ بحال وكان ابراهيم ادهم رحمه الله تعالى يقول كيف يأمن ابراهيم
الخليل صلوات الله عليه كان يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولو ...

يقول توفيق مسلماً وكان سفيان الثوري لا يزال اللهم سلم سلم كانه في سفينة
يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف انه قال قال بات سفيان الثوري
رحمه الله عليه ليلة فبكى الليل اجمع فقلت البكاء وكثره للذنوب قال
فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله تعالى من هذا انما اخشى ان اسلب
الاسلام والعياذ بالله تعالى وسمعنا بعض العارفين يقول ان بعض
الانبياء عليهم السلام سال الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد تلك الايات
والكرامات فقال الله عز وجل لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكر على ذلك مرة واحدة لما اسلبته فتيقظ يا ايها الرجل واحتفظ
بركن الشكر جدا واحمد الله تعالى على منته في الدين احلا معا الاسلام
والمعرفة واذا ما دفعا مثلا توفيق لتسبيح او عصمة عن كلمة لا يعنيك عسى
ان تتم نعمته عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور
واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد القرب والفراق بعد
الوصال وهو الله تعالى اجل الماجد الكريم الرؤف
الرحيم وحده الامر اذا
احسست الخطر فمن الله عز وجل الخطام عليك اباحية

152

الكرام الجسام لديك التي لا تحصر عدا فاشكر ولا تحيط بها وبك حتى خلفت
هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصائر وظهرت
من الاوزار والكبائر وسبقت العوائق ودفعت العوارض و
ظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها
من خصلة شريفة ورتبة منيفة اولها التبصير والتوفيق
وآخرها التقريب والتزلف فتأملت فيها بمقدار توفيقك
وشكرت عز وجل على قدر طوقك بان تشتغل لسانك بحمد الله
عز وجل وثنائه وغلا قلبك بعظمته فبلغك مبلغا يحول بينك
وبين عصيانه وبعثك على الخدمة بما امكنك او بسعة
طاقتك معترفا بالتقصير عن حق النعمة واحسانه وكلما اغفلته
شكره او قصرت او زللت عاودت واجتهدت ولم تجد
اليه وتوسلت وقلت بالله يا مولاي ابتدأت بالاحسان
لفضلك الصافي من غير استحقاق وناديته نداء الاولياء
الذي وجدوا اتاح هدايته وذاقوا حلاوة معرفته
فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة وحنة

البعد والضلالة ووراثة العزل والإزالة فتضرعوا بالباب
مستغيثين ومد واليه الكف مبتهلين وانادوا في الخلوات
مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة انك انت الوهاب قلت انا نقديره والله اعلم
انا وجدنا منك نعمة قطمعنا في اخرى لانك انت الجواد الوهاب.
قلت انا تقديره والله اعلم انا وجدنا منك نعمة وطمعنا في
اخرى لانك انت الجواد الوهاب كما وهبت مزيته الانعام في
الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء اما تسمع ويجب
ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين الذين
اصطفى سهم من بين خلقه هذا الدعاء قوله اهدنا الصراط
المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا فهذا ابتدع اليه فان الخطر
عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فرة وامصائب العالم ومحنها الى
خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب
والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك
قول من قال   لكل شي اذا فارقته عوض

البس لله

وليس لله ان قار قدر من عوض وفوات قال اذا بلغت الدنيا على
المرء بحسنه فما فاته منها فليس بضائر وكذلك في كل نعمة من النعم علمك وتابيدك
فمن قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك فوق ما تودده وتمنى فاذا فعلت
ذلك كنت قد خلفت هذه العقبة الخطرة وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين
هما الاستقامة والاستزادة فيدوم لك النعم الموجودة المعهودة التي اعطاكها
فلا تخشى زوالها ويزيدك النعم المفقودة التي لم يعط بعد مالم تحسن ان تسأل وطلب وتمناها
فلا تخشى فواتها وكنت حينئذ من العارفين العلماء بالله التائبين الطاهرين الزاهدين
في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان
القاصرين الامل الناصحين الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين
الراضين الصابرين الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المثنين الشاكرين
لانعم الله تعالى رب العالمين ثم تصير بعد ذلك من المتقين المكرمين الصديقين
فيا لها من الكرام والله تعالى ولي التوفيق فان قلت فاذا كان الامر كذلك فقل
من الناس العابد بحق المعبود والواصل الى حد المقصود ومن ذا الذي يقوم على
هذا المورد وتحصيل هذه الشرائط فاعلم ان الله عز وجل لذلك يقول
وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون ثم ان في ذلك ليسير على من يسره الله عليه وعلى

ولو نهدايه قال الله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فلولا كان العبد
يقوم بما عليه فما طاقتك يا رب العزيز القدير الغفور الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير
وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف يفي العمر حتى يكمل هذه الشرائط ويقطع هذه
العقبات فاعلم ان العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن اذا اراد الله تعالى
ان يحسن عنده فقصر عليه طولها فيهون عليه شدتها حتى يقول بعد قطعها ما اقرب هذه الطريق
واقصره وما اهون هذه الامر وايسره فمن مثل ذلك انا عند وقوع على هذه العقبة
علم الحجة واضح لمريده واهدى العقل عن الحجة في حق ولقد حجبت لها لك وكانه مرجوة
ولقد حجبت لم يحجب حتى ان منهم من يقع هذه العقبات في بعض سنين ومنهم من هذه العقبات
يقع يقطعها في عشر سنين ومنهم من يحصل له سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل جمعة بل في ساعة
حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف ما كان لهم
الا خطرة حين رأوا التغير في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات والارض
حصلت لهم المعرفة والبصر واما هذا الطريق من الحقايق وقطعوا الطريق فصاروا
متعوضين متوكلين مستقيمين اذ قال فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
وكل ذلك انما حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون
ما كان مدتهم الا لحظة حين رأوا معجزة موسى عليه السلام قالوا امنا برب العالمين

رب موسى وهارون فابصروا وقطعوا واعطوا جبته فصاروا من ساعتهم ابدال عجل
اقل من العارفين بالله الراضين بقضاء الله الصابرين على بلائه الشاكرين لالائه التائبين
المنيبين فانتهت الرعاية فنادوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا عن ابراهيم بن ادهم رحمة
الله عليه انه كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذه الطريق فلم
يكن الا مقدار مسيرة من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط
من القنطرة في الماء الكثير هناك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وان
رابعة البصرية رحمها الله تعالى كانت امة كبيرة السن يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب
فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها فاختارت
هذه الطريق واقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها
وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم يسبق له العناية ولم يعامل بالفضل فهو كلما
الى نفسه بما يجري فيه من عجب واحد سبعين سنة ولا ينقطعها فلم يصح ويصرخ
ما اظلم هذا وانكد واعسر هذا الامر واعضل فان الشان كله
في اصل واحد وذلك تقدير العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا
بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا الوال
ينادى من سرادقات الجلال الا الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية

فانه لا يلتفت الى ما خلفه وهم يسألون قلنا ومثال هذه الطريق في الدنيا الصراط في الآخرة

في عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلائق فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق

الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف واخر كالفرس الجواد واخر كالطائر واخر يسعى

واخر يحبو حبواً يصير مخمداً(?) واخر يمشي مشياً واخر يوجد بكلاليب فيطرح في جهنم وكذلك

وكذلك حال هذا الطريق من سالكيه في الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا

وصراط الآخرة فللنفوس يرى اهوالها البصائر وصراط الدنيا للقلوب

يرى اهوالها ذوو البصائر والالباب وانما اختلف احوال السالكين في الآخرة

لاختلاف احوالهم في الدنيا فتامل ذلك حقه فهذه هذه وبالله التوفيق

ثم اعلم ما هو التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا

من طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التي يسلكها الانفس فيقطعها بالاقدام فيكون

على حسب قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني يسلكه القلوب فيقطعها بالافكار

على حسب العقائد والبصائر اصله نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد

فينظر به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم هذا المعنى مما يطلبه العبد ما به نتيجة(?)

فلا يجده ولا اثر منه وذلك لخطئه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله

بطريق ذلك فواحد يجده في خمسين واخر في عشر واخر في يوم واخر في ساعة

صراط

واخر في

واخر فرطة تعترض العبد وهو تعالى ولي الهداية لكن العبد مامور بالاجتهاد فعليه
تمام الامر والامر مقسوم مقدور والرب حكيم عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان
قلت ما اعظم هذا الخطر واشد هذا الامر واكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف من العمل
والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا اقول لعمري انك لصادق في قولك ان الامر
والخطر عظيم فلذلك قال الله عز وجل لقد خلقنا الانسان في كبد وقال عز وجل
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين عليه الصلوة
والسلام لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي
من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا ولم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا
لماذا خلقوا وكذلك يقول السلف رضي الله تعالى عنهم فعن ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه انه قال وددت لو كنت خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر
رضي الله تعالى عنه انه سمع انسانا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم
يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت وقال ابو عبيدة رضي الله عنه وددت اني
كنت كبشا فذبحني اهلي فيستوفون لحمي ويحسون مرقي ولم اخلق وعن وهب بن منبه رضي الله
عنه خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن الفضيل اني لا اغبط

ملكا مقربا ولا مرسلا ولا عبدا صالحا الا وهو لا يخافون الخاتمة انما المغبوط

من لم يخلق وعن عطا السلمي انه قال لو ان نارا اوقدت فقيل من

القى نفسه فيها صار لا شي لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل

الى النار فالامر اذن كما ترى امر شديد كما تقول بل اشد واعظم مما

تظن وتتوهم فانه امر سبق في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز

العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله

عز وجل والابتهال الى الله عز وجل عسى ان يرحمه ويسلمه بفضله

وكرمه وان قلت كل هذا لماذا فهذا الكلام يدل منك على غفلة عظيمة بل

الصواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا فما يطلب

العبد على الجملة فنقول ان اقدر ماذا يطلب العبد الضعيف اقل

ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني

الملك في الدارين اما السلامة فان الدنيا وافاتها وغوائلها بحيث

لم يسلم منها الملائكة المقربون ولقد سمعت حديث هاروت

وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح عبد الى السماء فيقول له

ملائكة السماء متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا

والثاني

وان في الاكثر فيها هو الهاو شدائدها عجيبة مصرخ فيها الابناء ذو الرسل نفسي
نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان الرجل عمل سبعين نبياً لظن
انه لا ينجو فمن اراد السلامة فمن هذه فيصح منها بالاسلام سال الله القضية
الحسنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سال الله يصيبه بمنه ان يكون ذلك
مراهبتنا واما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشية
فان ذلك باح الحقيقة في الدنيا لاولياء الله واصفيائه الراضين بالقضاية
ين والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب والفضة و
ن والانس والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيا الا وهو
كائن لانهم لا يشاؤن الا ماشاء الله وما شاء الله كان ولا يحابون احد
من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من
دون الله واين الملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اخل واذل
وما ملك الاخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا
كبيرا وعظيم مما يقول فيه رب العزة جل جلاله انه ملك كبير
وانك تعلم ان الدنيا بامرها قليلة وان بقاءها من اولها
الى اخرها القليل نصيب احدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد
منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما يظفر بنصيب قليل من هذا القليل

من بقاء قليل وان حصل له ذلك فيعذب بل يغبطه والد يستكثر
ما يبذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرء القيس حيث يقول
بكى صاحبي لما راي الدرب دونه وظن بانا لاحقان بقيصر فكيف
فقلت له لا تبك عيناك انما نحاول ملكا او نموت فنعذر
فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم ايستكثر في
ذلك ان يصلي ركعتين لله او ينفق درهما ويبهر ليلتين كلا
لو كان الف الف نفس المملوك العزيز لكان ذلك الف الف
بروح والف الف عمر مثل عمر الدنيا ولكن نبيد لذلك كله
هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعد
ما طلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه
كثيرا فتنبه ايها المسكين من رقدة الغافلين ثم
اني تاملت ما يعطي الله سبحانه العبد اذا اطاعه ولزم
خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجدتها على
الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرين منها في الدنيا
وعشرين منها في العقبى اما اللتي في الدنيا
في الاولى ان يذكره الله سبحانه وتعالى ويثني
عليه والثانية ان يكون رب العالمين يمن عليه

يذكره

تذكره وشانه والثانية ان لشكره جل جلاله وتعظيمه ولو شكرك مخلوق
ضعيف فملكك وعظمك لشرفت فكيف بالله الاولين والاخرين والثالثة
ان يحبه ولو احبك رئيس محلة وامير بلدة لافتخرت بذلك وافتخرت
به في مواطن عزيزة فكيف محبة رب العالمين والرابعة ان يكون له وكيلا
يدبر امره والخامسة ان يكون برزقه كفيلا يوجهه اليك من حال الى حال
من غير طلب ولا تعب او وبال والسادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع
عنه كل قاصد لسوء والسابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال
والثامنة عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا
وجبابرتها والتاسعة رفعة الهمة فيترفع عن التلطخ بمقاذير الدنيا واهلها ولا بمفاخر
الزخارفها وملاهيها ترفع الرجال الابطال عن ملاعب الصبيان والعاشرة
غنى القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يفرحه
عرض حدث ولا يهمه عدم الحادية عشر نور القلب فيهتدي الى بعضها غيره
الاحمد جنيد وعن قديد الثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء من محن
الدنيا ومصائبها ومعن للناس ومكايدهم الثالثة عشر المهابة في انه وقع
في النفوس بحرمته الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار

اغنى
نور قلبه للعلوم والاسرار وحقائق الا...

الرابعة عشر المحبة في القلوب يجعل له الاخرى ودار فيه القلوب كلها مجبولة
على محبته والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه الخامسة عشر
البركة العامة في كل شيء من كلام او لفظ او فعل او ثوب ومكان حتى
يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما وبانسان صحبه
ورآه حينا السادسة عشر تسخير له الارض من البر والبحر حتى ان
شاء مشى في الهواء او مشى على الماء او قطع وجه الارض باقل من ساعة
السابعة عشر تسخير الحيوان من السباع والوحوش والهوام وغيرها
فتحببه الوحوش وتبصبص له الاسود الثامنة عشر ملك مفاتيح
الارض بحيث ما ضرب بيده فله كنز ان اراد وحيث ما ضرب رجله
فله عين ان احتاج واين ما نزل فله مائدة يحضره ان قصد التاسعة
عشر القادة والوجاهة على باب رب العزة جل جلاله فينبغي الخلق
الوسيلة الى الله عز وجل بخدمته وتستنجح الحاجات من الله عز وجل
قال تبارك الله تعالى شأنا ان اعطاه ولا اسعد لاحد الا شفع وكم من
على الله لابره بما شاء حتى ان منهم من لو اشار وايما جنب الى الله
فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر بباله شيء يحصل فلا يحتاج

المقيا

الى الاشارة

الى الاشارة فهذه كرامات في الدنيا فاما التي هي في العقبى فالحادية عشرو

ان يهون عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت منها قلوب

الانبيا عليهم السلام حتى سالوا الله عز وجل ان يهونها عليهم حتى

ان منهم من يكون الموت عنده مثل منزلة الماء الزلال للظمآن

قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الثانية والعشرون التثبيت

على المعرفة والايمان وهو الذي منه كل الخوف والفزع وعليه بكاء البكائين

والجزع وقال عز من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والثالثة والعشرون ارسال الروح

والريحان بالبشرى والامان قوله سبحانه عز شانه الا تخافوا ولا

تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف مما تقدم عليه

في العقبى ولا يحزن على ما خلف في الدنيا والرابعة والعشرون الخلود

في الجنان ومجاورة الحور والخامسة والعشرون التجلي في البشرلو

وجه على خليقته بالاكرام والالطاف والانعام والخدمة في العلانية

تعظيما لشانه والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى

تجهيزه يرجون بذلك اكبر ثواب ويعدونه اعظم غنم والسادسة

يرجون

والسادسة والعشرون الأمان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيما عن ذلك

الأهوال السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون فيه روضة من رياض الجنة إلى

يوم القيامة الثامنة والعشرون إيناسه وتسميته وإكرامها فيجعل في أحسن فطر

حصر مع الأحوال الصالحين فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله التاسعة والعشرون الحشر

مع الغر الكرام من حلل وتاج وبراق الثلاثون بياض الوجه ونوره قال الله عز وجل

وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة الحادية والثلاثون الأمن من أهوال يوم القيامة

قال الله عز وجل من يأتي يوم القيامة الثانية والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من يعطى الكتاب

إلا الثالثة والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلا بل يكلف إلى الرابعة والثلاثون ثقل

ومنهم من لا يوزن عليه أصلا الخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم في شربة

لا يظمأ بعدها أبدا السادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى إن منهم من لا يسمع

وتخمد له النار السابعة والثلاثون الشفاعة في عرصات القيامة نحو من يشفع الأنبياء و

الثامنة والثلاثون ملك الأبد في الجنة التاسعة والثلاثون الأكبر الأربعون لقاء رب العالمين

إله الأولين والآخرين بلا كيف جل جلاله ثم أقول إني أحدث ذلك على حسب فهمي في

علمي من قصوره ونقصه ومع ذلك فقد أجملت فيما وأوجزت وذكرت الأصول

ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب [illegible] ترى إني جعلت ملك الأبد خلعة واحدة

لا يطلع على ذلك الا علام الغيوب ... ثم كل شيء للشهيد على ابواب الجنة

لا يعقب على اربعين خلعة من نوع الحور والقصور والانهار وغير ذلك ثم كلمت للشهيد على ابواب صدا

لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها ومالكها واي مطلع للناس من هو كله ربنا

سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يقول من يقول لو كان

لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه من كلمات الذي يقول الله عز وجل لاهل

الجنة باللطف والكرم فما يكون حاله هذه فاني يبلغ جزء من الف جزء منه وهو شر

ولا يحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الطعم ولو ضربت دونه العقول وحارت الاعين

ذلك كذلك فانه هو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود العديم الا يعمل

وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك كله لا يقل

قليل في جنب ما هم اليه محتاجون واناه الطالبون سوله معرضون وليعلموا

ان العبد لا بد له من جملة اربع العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم اولا الطريق

والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال

يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون

رحمه الله تعالى حيث قال الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون

كلهم مغترون الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم علم ايانا والنجاة لكل العجز من اربعة

اوجب لاحدهم من عامل غير جاهل الهاهم تلهو وما بين يديه اما بنو وما هو مطلع بعد الموت

عليه من النظر في هذه الدلائل والعبر والاسماع الى هذه الايات والنذر والانزجاج

طهد الخواطر والهواجس في النقش والدنيا ولم ينظر وفي ملكوت السموات والارض

وما خلق الله من شيء قال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم والثاني

من عالم غير عامل اما يتذكر ما نعلم يقينا ما بين يديه من الاهوال العظام والعقبات

الصعبات فهذه هو النباء العظيم الذي انتم معرضون والثالث من عامل

غير مخلص الايمان وتهاون فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك

بعبادة ربه احدا والرابع من مخلص غير خائف اما ينظر الى معاملاته

خير خلائق من صفاته او لسانه وخلقه حين يقول لا اكرم الخلق على الله محمد صلى الله

وسلم ولقد وحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن

عملك الايات وتحوجها كان صلى الله عليه وسلم

ويقول شيبتني سورة هود واخواتها ثم جد الامر وقصد ما قال

رب العالمين عز من قائل في ابيات الكتاب العزيز جل وعز افحسبتم

انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر

نفس ما قدمت لغد اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال

جل و

جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
ثم احمد الكاتب فقال وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان
الله لغني عن العالمين ونحن نستغفره من كل ما زل به القدم او طغى به القلم
ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه
واظهرناه من العلم بدين الله ونحن نعترف بالتقصير فيه من كل خطرة
دعتنا الى تصنع وتزين في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم
افدناه ونسأله ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين
ولوجهه مريدين وان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان
الصالحين الصالحات اذا ورثت اعماله جواد كريم فهذا ما اردنا
ان نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة وعد وفينا بالمقصود
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على خير من لو دعانا الى
الفضل محمد النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما
كثيرا كثيرا حسبنا الله ونعم الوكيل انه خير معط ومتكل [illegible]

كتبه العبد الضعيف الراجي الى رحمة ربه العلي القوي
احمد [illegible] بتاريخ غرة شهر شعبان المعظم اللهم اغفر لكاتبه ولصاحبه
ولمن نظر فيه بحق محمد صلعم وآله واصحابه الامجاد

